
المجلة
العربية
إضاءات على مواضع في
الأحساء
د. فضل بن عمار العماري
www.arabicmagazine.com

إضاءات على مواضع
في الأحساء

المؤلف
د. فضل بن عمار العماري





رئيس التحرير

محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين).شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345.4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432 | المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com



ⓗ المجلة العربية، 1442هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العماري، فضل بن عمار
إضاءات على بعض المواضع في الأحساء. / فضل بن عمار العماري.- الرياض، 1442هـ
136 ص؛14×21 سم.- (كتاب المجلة العربية ؛ 539)
ردمك: 978-603-8320-11-2
1 - الأحساء (السعودية) - جغرافيا 2 - الأسماء الجغرافية - السعودية
أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 915,3133 1442 / 7735

رقم الإيداع: 1442 / 7735
ردمك: 978-603-8320-11-2

المحتويات

المقدمة

قامت الجغرافيا الأدبية القديمة في كثير من أدبياتها على الشعر، كأن يُستَلّ موضعٌ جاء في بيت ما، ثم يَبحَث العلماء عنه فيما بين أيديهم من مرْويات، وتختلط هنا المعلوماتُ ببعضها بعضاً، حتى يأتي من يأتي، فيفرز هذا عن ذاك.
وهكذا، فعل المعاصرون، فراحوا يبحثون في الموضع، ويحاولون توجيهه إلى المكان الذي يتصوّرون أنه فيه، فصار شبه إجماع على أن بعضاً مما سيأتي في هذه الدراسة هو في الأحساء.

إن منطقة البحث هنا هي محافظة الأحساء التي تشكِّل الجزء الأكبر من منطقة البحرين القديمة التي تضمّ (أوال) (البحرين الحديثة)، وكانت (هجر) عاصمتها، ومدار الحديث عنها، وما عدا البحرين الحديثة فهي الآن جزء من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. لقد سهّل هذا التحديد الضيِّق العمل في هذه المحافظة، بدلاً من التشعب والتشتيت، بيد أن المعطيات الأدبية للمواضع في هذه المحافظة لم تكن بالقدر المتوقّع منها، إذ ظلّ العلماء المعاصرون مقيَّدين بما أدلى به الأوّلون من معارف، حتى ثبتت تلك المعارف، فأصبحت مقرَّرة، كأنها هي الحقيقة.

ولهذا، توجّه البحث إلى تلك المعطيات قديمةً وحديثة، فرأى أن ما كان مجمعاً على صوابه قد جانبه الصواب، وراح يستحضر وسائل الإقناع كلها من أجل إعادة ترتيب المسائل، لتظهر الحقيقة على غير ما كان مقرّراً، وليبدو الوضع غير ما كان عليه.

وفي ضوء هذه الدراسة، فإن ما هو شائع ذائع بين الدارسين من نسبة الحارث بن حلِّزة اليشكري وقبيلته ضبيعة إلى البحرين، اعتماداً على قوله:

إذ رفعنا الجِمال من سَعَفَ البحـ

ـرين حتى نهاها الحِساء

أي: أن قبيلة يشكر كانت تسكن البحرين، ومنها انطلقت غزواتها ليس صواباً، وإنما هو يشير إلى قدومهم من جنوب شرق الرياض، حيث كان مقامهم، مروراً بالأحساء، والأمر واضح لا غموض فيه، فعن أيّ (أحساء) يتحدَّث، إن لم يقصد (الأحساء): منابع المياه على الخليج، حسبما فهمه الأنباري في قوله:

«يُخبر عن (مغازيهم)، أي: قد أغرنا على من لَقِينا من الناس، حتى انتهينا إلى النَّخل... ثم مضينا نغير، وننتهب حتى انتهينا إلى الحِساء؛ ومعنى (نهاها) الحساء: كفَّها وحبسها: معناه بلغنا الحِساء؛ والحِساء: جمع حِسي البحر، والحِسي: الماء الجاري. يقول: فلما بلغنا الحِساء، لم يكن وراءها مُغار».

وأيّ دليل أبلغ من تعيينه: «الحِساء: جمع حِسي البحر»؟ ولم تُذكر قطّ منازل يشكر في عموم منطقة البحرين، ومنها (هجر)، بل من الثابت أنها منازل عبدالقيس في الجاهلية، عصر الحارث بن حلزة، يقول الحارث نفسه:

وقد نلنا لعبدالقيس سبياً

من البحرين يُقتسم اقتساما

أي: أن عبدالقيس -أهل هجر- واجهوا قوة غالبة قادمة من الخارج، فهم ليسوا جيرانهم فيها أبداً، وقد أحدثوا فيهم ذلك الحدث القاهر «نلنا لعبدالقيس سبياً»، وهو يحدِّد هذا بالبحرين نفسها، كما أوضح سابقاً. ولقد ظلت البحرين عامة منسوبة إلى عبدالقيس خاصة حتى أوَّل الإسلام. ومن الغريب جدّاً أن تسمية الأحساء لم تكن معروفة في تلك الفترة، وإنما أتت التسمية مؤخّراً وفق ما عبّر عنه الحارث بن حلزة، وكان الغالب عليها اسم (البحرين).

كان هذا إشكالاً استدعى إعادة النظر فيه، كما أن الإشكال الآخر، والذي لا

يقل غرابة -أو إن شئنا غموضاً- عن الأول في سيرورته، بل فيما تتناقله كتب الأدب والتاريخ والمراجع العلمية الحديثة، هو ما وافق تفسير قول كثيّر عَزّة:

كدُهم الرِّكاب بأثقالها

غدت من سَماهيجَ أو من جُواثى

فكلها تجمع على أن هذا القول في (سماهيج) -قرية بالمحرَّق، بالبحرين الآن، وكانت تحمل الاسم كله- وهو ما لا يقبله عقل ولا منطق، فبين (سماهيج) في ذلك الزمان وبين جزيرة (أوال) فاصل بحريّ عميق، لا يمكن للإبل أن تجتازه، ثم تعبر من (أوال) إلى ميناء (العقير)، ميناء الأحساء. كانت هذه صورة مخزونة في الذاكرة الجماعية للشعراء، عن مكانٍ ما في الأحساء، بلد تصدير التمور، إذ لا تصدير للتمر من البحرين، يدلّ عليه ذكر (جواثى)، وبينما ظلت هذه الأخيرة قرية لشهرتها بمسجدها التاريخي مسجد (جواثى)، تلاشت تلك من الذاكرة، وحلّت محلها تلك المعروفة إلى الآن؛ لأن لها قديماً مركزاً نصرانيّاً مرموقاً. وأغرب ما في الأمر أن زجّت المعارف (عبدالقيس) بـ(سماهيج) تلك التي بالبحرين، في الجاهلية، ولم تكن عبدالقيس تستوطنها حتى فترة متأخرة قط، وإنما اقتصرت على القساوسة والرهبان، فكلها -أي: ما تضمّ من أنحائها- لا يخرج عن تلك الملكية النصرانية. وكذلك كانت بكر بن وائل بعيدة حتى عن الأحساء نفسها قبل الإسلام.

إذا انتقلنا إلى موضع آخر أحدث بلبلة في الدراسات، ألا وهو (حُوار)، فلو نظرنا في كل الأدبيات التي تناولت هذا الموضع، فإنا سنجدها تحصر الحديث في جزيرة (حُوار) التابعة لملكة البحرين الآن، بينما الحقيقة -كما تبدو- غير ذلك تماماً، وما هذا إلا؛ لأن الذهن ينصرف تلقائيّاً إلى أقرب

مـا يَعلُق بـه، فتغيب الحقيقة في خِضَمّ تشـابه الأسـماء، وتجاور المسـمّيات، إضافـة إلى مـا يحيط بالاسـم من التباسـات نتيجة التصحيـف والتحريف، فـ(حـوار) هـذه لم تكـن يومـاً مـا -وإلى عهد قريب جـدّاً- ذات شـأن، لا في التاريـخ، ولا في الأدب، ولـولا أن ياقوتاً ذكرها، لظلت مهملة؛ إذ إن (حوار)، وتصحـف إلى (جَيّار)، وجاء مثنّى (حوارين)، فاختلط بـ(حرّان)، لم تكن إلا في قلب الأحساء (هجر)، وفيها كانت الخصومة والنزاع والذكر، وشاءت الأزمان أن ينطمس اسـمها، كما ينطمس كثير من الأسـماء، فلا يُدرى أين هو، في حين أن الأدلة والقرائن كلها تشير إليه وحده، وفيه جاء الشعر، وعنه تتحدّث الأخبار، فحاله حال (سماهيج) الآنفة الذكر.

ولن نستبق الأمور لنتناول في هذه المقدمة ما جرَّ إليه تفسير الشعر من أخطاء ومغالطـات، فمجـرَّد ذكر (الشـبعان) في الشـعر، يسـتدعي اسـتحضار جبل (قارة)، ثم يختلط هذا بـ(عماية) بنجد، و(طَوالة) كما وردت في الأشعار.

علـى أن الأمـر المثـير حقّاً، والمدهـش حقيقة هو هـذا الإجمـاع المعاصر على أن (الجبيـل) هـي (عينـين)، كمـا وردت في الشـعر، وكما تذكرهـا المعاجم الجغرافية؛ وقع هذا من كل العلماء المعاصرين الأجلاء دون استثناء، مع أن الطبيعة الطبوغرافية للجبيل لا تسعف أحداً في استنتاجه أنها هي (عينين) ذاتها، فـ(الجبيل) ليست قديماً أو حديثاً، كما قالوا: (قرية كثيرة النخل)، ولا ينطبق عليها يوماً ما ألبتة قول الشاعر:

كـأن أظعـانـهـم تُـحـدى مُـقَـفِّـيَـةً
نـخـلٌ بعـيـنـين مُـلْـتَـفٌّ مـواقـيـر

وهـم غضّـوا البصر عمّا هـم بصدده من أمر الشـاعر (خليد عينين) الذي يرونه من أهل (الجبيل)، بينما قال القدماء: «خُليد عينين، من أهل هجر»،

أو قولهم: «عين هَجَر، بلد خُليد عينين، الشاعر». ووضع (عينين) وضع خاصّ جدّاً؛ لأنه صادف وجود جماعة (البوعينين) فيها، وتعقّد الأمر بوجود عينيّ ماءٍ بها، فصارت التثنية مدعاة لربط الموضع بالجماعة، ولاسيما أنهم راحوا ينسبون خُليداً إليهم. وكل ذلك مخالف للواقع والمعطيات، فهذه الجماعة حديثة الإقامة بالجبيل، جاؤوها فيما بين (1327هـ – 1340هـ). ولم تذكر المصادر القديمة أبداً وضعاً للجبيل يخرج (عينين) عن الأحساء. ولندع الآن ما يتصل بـ(عينين) من ذكر (المشقر) و(الصفا)، و(محلِّم) لنصادفه في موضعه.

هذه، إذن، بعض إشكاليات الأدب الجغرافيّ القديم، وما جرّ إليه من تفسيرات سيطرت على الكتابات الحديثة، فيما يتعلق بالأحساء خاصة، وفي نطاق ضيّق جدّاً، حتى لا يخرج الموضوع عن حيِّزه المحدّد له، إذ لو توسّعنا في ذلك، لتطلّب العمل إضافات، لا تخدم الهدف الذي جاء من ورائه، ألا وهو إزاحة الغموض عن تلك المواضع بالذات؛ لأنها أصبحت مقررة على أنها كذلك، بينما هي غير ذلك تماماً؛ ولأننا إنما نعالج مواضع في الأحساء المعروفة الآن، بينما كانت (هجر) قصبة البحرين القديمة كلها.

وإذن، فإن تحليلاً كهذا، واستدراكاً كهذا، سيسهم في إعادة النظر في هذه القضايا التي هي في الأصل أدبية مما سبّب كثيراً من الإشكالات العلمية لتداخل الأدبي بالعلمي (الجغرافي)، وهي ليست واحدة، بل متعددة، وإن كانت محصورة بالشعر القديم حتى إنه لا يتناول فترة متأخرة مثل فترة العيونيين ومن جاء بعدهم، وهو ما شغل علماء الجغرافيا الأدبية قديماً، وسار على خطاهم المعاصرون.

وعلى كل حال، فإنه من المعلوم أن مشاركة حمد الجاسر بقوة في هذا المجال أفاد البحث العلمي كثيراً بما قدّم من آراء، إلا أنه في الوقت نفسه

أغلق الأبواب على سـواه، لما يحظى به من اعتبار وتقدير، وهو ما يسـتحقه، ويحتفـظ بـه لـه، إلا أنـه في الوقت نفسـه كان جديراً بنا أن نمضـي قدماً في متابعـة جهـوده لنضيف له ما يمكـن إضافته، أو أن نعدِّل من مسـار البحث، وهذا ما هو مأمول هنا.

د. فضل بن عمّار العمّاري
قسم اللغة العربية- جامعة الملك سعود
1442هـ/ 2021م

الأحساء

يقول الحارث بن حِلِّزَة:

إذ ركِبنا من سَعَف البحريـ

ـن سيراً حتى نهاها الحِساء

ولقد اضطرب ابن بليهد، فقال:

«أما الحساء الذكر الحارث، فهو -بكسر الحاء- وهو غير الحَساء في نواحي هجر، وهذا الاسم إذا فُتح حاؤه، يُطلَق على جميع... قُرى البحرين...».[1]

فهو يرى أنه (حسو / حسي عليا)، ولم يقصد الحارث بن حلزة إلا ما جاء في شرح الأنباري على منابع المياه على الساحل المطلّ على الخليج؛[2] إذ لم تكن الأحساء (هجر) معروفة بهذا الاسم، وإنما عُرفت مؤخراً.

تسمية الأحساء

وقد ظل اسم هجر علماً على هذه الأرض، حتى تحول مؤخَّراً إلى (الأحساء)، أو (الحَسا)؛ قال ابن بطوطة:

«ثم سافرنا... إلى... هجر، وتسمى الآن بـ: الحَسا».[3]

وجاء في أحسن التقَاسيم:

الأحساء: قصبة هجر، وتسمى: البحرين، كبيرة، كثيرة النخل، عامِرة،

---

(1) محمد بن عبدالله بن بليهد، صحيح الأخبار (القاهرة: مط السنة المحمدية، ط2، 1392هـ/1972م) ج1، ص238.

(2) أبوبكر، محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون (القاهرة: دار المعارف، 1963م) ص471.

(3) أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم اللواتي، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، 1405هـ/1985م) ص ص93 - 94.

آهلة، معدن الحرّ و(القحط).[1]

وهنا تصحيف، فهذه الأرض ليست معدن (القحط) ألبتة، بدليل قوله: «كبيرة، كثيرة النخل، عامِرة، آهلة»؛ وإنما بها (القيظ)، فهنا تصحيف.

وهذا يدلّ على أن اسم (البحرين)، الذي كان يشمل المنطقة كلها تقلّص، لينحصر في (الأحساء) وحدها، ثم تحوّل تدريجيّاً إلى جزيرة (أوال). كما تقلص (الأحساء) من منابع المياه على الساحل المقابل لـ(هجر)، ليُطلق على (هجر) نفسها.

***

البحريـن

قال الحارث بن حِلِّزَة اليشكري:

إذ رفعنا الجِمال من سَعَفَ البحـ

ـرين حتى نهاها الحِساء[2]

وهنا غموض في قول الحارث بن حلزة، فلدينا تفسيران لـ(البحرين):

الأول: الذي ذكره الأنباري، وهو:

«يُخبر عن (مغازيهم)، أي: قد أغرنا على من لَقِينا من الناس، حتى انتهينا إلى النَّخل... ثم مضينا نغير، وننتهب حتى انتهينا إلى الحساء؛ ومعنى (نهاها) الحساء: كفَّها وحبسها: معناه بلغنا الحساء؛ والحساء، جمع حِسي البحر، والحسي: الماء الجاري. يقول: فلما بلغنا الحساء، لم يكن وراءها

(1) محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر لعيبي (أبوظبي: دار السويدي للنشر، ط1، 2003م) ص106.

(2) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص471.

مُغار».[1]

الثاني: ما جاء في حاشية الزوزني، وهو:

«سارت من البحرين سيراً شديداً إلى أن بلغت هذا الموضع الذي يُعرَف بالحِساء».[2]

ويرى ابن بليهد رأي حاشية الزوزني، وأن:

(الحساء): هو (حُسو عليا): يصب سيله في وادي الرُّمّةَ.[3]

فإذا كان المعنى هو ما قصده الأنباري، تكون (البحرين) هي منطقة البحرين، أغاروا عليها، قادمين من منطقة بعيدة عنها، وكانت (يشكر) تسكن جنوب الحوطة، من اليمامة، بل كانت بكر كلها في نجد، وتكون (الحِساء): أطراف الأحساء (هجر) البرية المطلة على البحر. وهذا المعنى يبدو مناسباً جدّاً؛ فالحارث بن حلزة يتحدّث في مطوّلته عن أيام وحروب قديمة جدّاً، عندما كانت القبيلتان: بكر وتغلب، في نجد، قبل رحيلهما عن ديارهما، وتفرّقهما.

وعلى كل حال، فالبحرين، منطقة البحرين في الاستعمال القديم، تشمل جِبال كاظمة بالكويت شمالاً حتى حدود أبوظبي، فيما هو معروف الآن -وقديماً- بـ(بينونة)، على امتداد الساحل، وتتّسع غرباً حتى وادي المياه، فتدخل فيها (النعيرية)، و(نطاع)، و(ثاج)، وأطراف من الدهناء بينها وبين اليمامة، وأهم مدنها: هجر (الأحساء)، وهي قصبتها، وهي الأكثر

---

(1) المصدر نفسه، ص ص471 – 472. وصواب (مغازيهم)، كما جاء في الحاشية عن إحدى المخطوطات، ووافقه المحقق: (مغارهم).

(2) أبو عبيدالله، الحسين بن أحمد الزوزني، شرح القصائد السبع (بيروت: دار الجيل، د – ت) حاشية ص226.

(3) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص238.

دوراناً في الشعر، ثم القطيف... ويحدها (يبرين)، ووفق تفسير الأنباري، فالحارث يعني بـ(البحرين): (هجر) تحديداً؛ لأن اتجاه الجيش كان منها إلى الغرب؛ ولأن الحارث يقول بعده:

ثم ملنا على تميم فأحرمـ
ـنا وفينا بنات مُرٍّ إماء [1]

على أن اسم البحرين في الأصل جاءها من عين (محلم) و(عين الجريب).[2]

ثم اتسع المدلول، ليشمل هذه المنطقة، وتقلص أخيراً، ليصبح علماً على البحرين الحالية، وهذا معنى قول الأخنس بن شهاب الآتي: «لُكيز لها البحران»، فـ(البحران) مثنى (بحر)، أي: النهر: (نهر محلم)، و(نهر الجريب)، وقول بعض آل سعد بن ملك يكرب: «وأزد لها البحران». و(الجريب) هنا جاء محرَّفاً تحريفاً تامّاً عند الهمداني، فالنهر المعروف الذي يشكّل ثنائيّاً، هو (نهر الصفا)، أي: (عين الحارة)، ولم يرد لنهر (الصفا) ذكر عند الهمداني، كما لم يرد ذكر لـ(حصن الصفا)، وهذا دليل على ذلك التحريف الشديد. وقد وقع الهمداني في ذلك نتيجة الخلط بين (الجريب): القرية، كما ذكرها نصر الإسكندري،[3] و(نهر الصفا)، فجعل هذه تلك، و(الجريب) هي التي يراها العبدالقادر: قرية (الشقيق)، من قرى (المبرز)، على بعد 8 كم من (الهفوف).[4]

---

(1) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص472.

(2) أبو محمد، الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة، 1394هـ/1974م) ص281.

(3) نقلاً عن حمد الجاسر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1399هـ/1979م) ج1، ص390. وهو مما سقط من كتاب نصر الإسكندري، كتاب الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: مركز الملك فيصل، ط1، 1425هـ/2004م). وانظر، شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1399هـ/1979م) (الجريب).

(4) محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (الرياض: مط الناشر العربي، 1419هـ/1999م) ج1، ص36.

ونقل الجاسر عن نصر أن البحرين سمّيت بذلك من أجل (محلم) والأخرى (قضباء) أو (قضبى)،[1] وهذا أيضاً تحريف كالذي سبق.

إن قول الحارث بن حلّزة حسب التفسيرين السابقين: تفسير الزوزني وابن بليهد، فيه تعارض كبير، فإذا كان رأي الأنباري أنهم أغاروا على (البحرين)، أي: (النخل)، كما قال: ينهبوا بها، فإن هذا لا يتوافق مع خطّ الإغارة على (حسو عليا): جنوب غرب القصيم، جهة الحناكية، والمناسب -كما جاء في شرح القصائد السبع الجاهليات- أنهم انتهوا إلى ساحل البحر.[2]

وكما وضّح الحارث، فذلك في زمن اضطراب الدولة الفارسية، في عهد الملك فيروز، يقول:

هل علمتم أيام ينتهب النا

س غواراً لكل حيٍّ عُواء

وعلى الرغم من أن الشرح في الزوزني شرح واضح، في جعل تحرك الجيش من (البحرين) / (هجر)، فإن هذا يتناقض مع منطقة وجود (يشكر) وبكر في الجاهلية، في الزمن الذي سبق حديث الحارث بن حلزة أمام الملك عمرو بن هند، أي: زمن وجودها في اليمامة ونجد. وسوف نرى عامر بن الطفيل -وغيره- يؤكد أن عبدالقيس هي التي كانت تسكن البحرين، لا يشاركها فيها غيرهم في الجاهلية، يقول:

وقد نلنا لعبدالقيس سبياً

من البحرين يُقتسم اقتساما [3]

---

(1) حمد الجاسر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1399هـ/1979م) ج1، ص208؛ وانظر، ص ص205 – 209؛ الإسكندري، كتاب الأمكنة؛ ج1، حاشية ص105. محمد بن موسى الحازكي، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1415هـ) ج1، حاشية ص105. وانظر عن الأحساء، الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، ص ص120 – 131.

(2) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ص470 – 471.

(3) عامر بن الطفيل الغنوي، ديوان عامر بن الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد (بيروت: دار

وقال الأخنس بن شهاب:

لُكيز لها البحران والسِّيف كله

وإن يَغشَها بأس من الهند كارب (1)

وعلى غراره جاء القول المنسوب لبعض آل سعد بن ملك يكرب:

وأزد لها البحران والسيف كله

وأرض عُمان بعد أرض المشقَّر (2)

ويقول لبيد في بيان سكنى (يشكر) -قوم الحارث بن حلزة- في اليمامة آنذاك:

فاخرتني بيشكر بن بكر

وأهل قُرّان وأهل حجر(3)

فهذه القبائل كانت مجتمعة باليمامة. والصواب -مثلما هو منطوق الشعر نفسه، وحسب شرح الأنباري- أن الإغارة كانت على البحرين (هجر) وما والاها؛ فـ(يشكر) -على سبيل المثال، وعلى افتراض أن الحارث يتحدث باسم عشيرته أيضاً- كانت تسكن جنوب الحوطة، ومن تلك الجهات انتقلت تغير على (البحرين)، وواصلوا تحركهم، حتى أدركهم البحر.

وأما بشكل عام، فقال بكر بن النطاح الحنفي، في العصر العباسي الأول، وهو يشير إلى حرب حنيفة، من بكر، الخوارج من عبدالقيس، كما سنلحظ

الكتب الجديدة، ط1، 1968م) ص111.

(1) أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ/1983م) ج1، ص86.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص369.

(3) لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مط الحكومة، 1962م) ص336.

من قول الفرزدق الآتي:

وعاجت على البحرين منا عصابة

حمتها بأعلام لها وسِمات[1]

شعر في البحرين القديمة

(باستثناء الجزيرة (أوال) قديماً)، في الجاهلية

ومن أشهر الأقوال في البحرين قديماً -على أن المقصود به ما حاذى الساحل- قول القائل:

ومن يسكن البحرين يعظم طِحاله

ويغبط بما في بطنه وهو جائع[2]

وقال آخر:

راح وقد مَلَّ ثواء البحرين[3]

وقال جماعة البارقي:

واتلأَبّت تؤم قافية البحـ

ـرين بالخَور بين أيدي الرعاء[4]

---

(1) حاتم صالح الضامن، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1987م) ص226.

(2) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مط مصطفى البابي الحلبي، 1363هـ، 1924م) ج4، ص139.

(3) أبو علي، هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: شركة العبيكان، ط1، 1413هـ/1992م) ج3، ص1335.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص373.

في الإسلام

وفي الإسلام قال أحد المرتدين:

نسير إلى البحرين نأكل تمرها

ونرعى حماها بالقنا والقبائل[1]

وقال عبدالله بن عتبة:

وليس لكم بالبحرين حابس طاقة

وليس لكم بالمسلمين يدان[2]

كما قال الفرزدق، وهو لا يقصد إلا منطقة الأحساء والقطيف:

حنيفة أفنت بالسيوف وبالقنا حرور

ية البحرين يوم ابن بخدج[3]

وقال آخر:

وخيلُك بالبحرين تعتلِف النَّوى

ولَلثمر خيرٌ من حشيش وأنفع[4]

عبادة عبدالقيس (الأَسبَذ)، بالأحساء

قال طرفة، والملحوظ أنه يتوجه بالإشارة إلى أهل الأحساء (أهل المشقر

(1) محمد بن عمر بن واقد، كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ/1990م) ص151.

(2) شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار صادر، د – ت) ج3، ص92.

(3) همام بن غالب، الفرزدق، ديوان الفرزدق، تحقيق: إسماعيل الصاوي (القاهرة: مط الصاوي، ط1، 1354هـ/1936م) ج1، ص143.

(4) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مط الفنية الحديثة، 1384هـ/1964م) ج2، ص33.

والصفا)، أي: عبد القيس في الجاهلية:

خـذوا حِـذركـم أهـل المشـقـر والصـفـا

عبيد اسبذٍ والقرض يجزي من القرض[1]

ولا يمكن الاعتماد على هذا الشاهد على أن عبد القيس عبدوا (أسبذ): الحصان؛ فطرفة لا يعيّر عبد القيس بعبادة الأوثان أبداً، وما هكذا يكون التعيير في أشعارهم، فهو وثني مثلهم، وإنما المقصود تعييرُهم خضوعَهم للقائد العسكري الفارسي (أسبذ) الذي ذكره ياقوت باسمه الفارسي (أسبيدَويه)، وعبد القيس في الجاهلية وثنية، وصنمها هو (ذو اللَّبَا).[2]

وهذا هو معنى قول مالك بن نويرة، مع حصر الخطاب في عبد القيس وحدها، وفي الأحساء نفسها:

أبـى أن يـريم الـدهـر وسـط بيوتكم

كما لا يـريم الأسبـذي المشقَّرا[3]

وعلى هذا، فإن (أسبذ)، أو (أسبيذيون)، هم جنود الحامية الفارسية في (هجر) (الأحساء)، وليس مثلما يذهب إليه النجم من أنهم من بني دارم، من تميم، فهذا أشدّ بعداً. وقد استشهد النجم أيضاً بقول ذي الرمة:

ولـكـنـمـا أصـل امـرئ الـقـيـس معشر

يَـحُـلّ لـهـم لحـم الخـنـازيـر والخـمـر

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ). وتسهّلت الهمزة في الشعر للوزن.

(2) المصدر نفسه، (ذو اللبا).

(3) المصدر نفسه.

وقال:

«واعتنق النصرانية من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة».

وهـذا غـير صحيح، فهؤلاء وثنيون كبقية تميـم في منطقة غرب اليمامة، ولا دخل لهـؤلاء بمنطقـة البحريـن التي يدرسـها النجم، وذو الرمـة يهجو قوم امرئ القيس، وهم قوم من تميم، ممّن يسـكن غـرب اليمامة، جاؤوا –كما يدَّعـي– مـن (حوران): بالشـام، فهم هؤلاء نصارى، كل هـذا هجاء وقدح، وفي ديوان ذي الرمة توضيح لذلك.[1]

البحرين، الجزيرة (أوال) لم يكن لها ذكر بهذا الاسـم في الجاهلية وصدر الإسلام حتى القرن السابع الهجري

قال النجم عن البحرين المعاصرة:

«وهي من الجزائر المأهولة بالسكان عند ظهور الإسلام».

وأحال على الفصل الثاني من كتابه، ولم يأت في هذه الصفحات بشيء يثبت قوله، اللهم إلا ما يتعلّق بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الآن، مما كان يسمى أيضاً: (البحرين)، وينطبق هذا على ما ذكره عن المحاصيل الزراعية. كما قال:

«وفي الجزيرة عند ظهور الإسلام مدينة، حسنة، ولها جامع».[2]

ومـن المؤكد أنه يشـير بهـذا المسـجد إلى (جواثى) بهجر ومسـجدها، وهما ليسا في الجزيرة، أي: البحرين الآن، ولا يمكن أن يكون ذلك.

---

(1) غيـلان بـن عقبة العدوي، ذو الرمـة، ديوان ذي الرمـة، تحقيق: عبدالقدوس أبـو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ط1، 1402هـ/1982م) ج1، ص260.

(2) عبدالرحمـن عبدالكريم النجم، البحرين في صدر الإسـلام (بغداد: مـط الجمهورية، 1973م) ص22. وانظـر، ص ص41 – 46، 81 – 82، حاشـية ص138. وانظـر كذلـك، عبدالرحمن عبدالكـريم العاني، البحرين في صدر الإسلام (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، 1412هـ/2000م) ص35.

تسمية (أوال) بـ(البحرين)

من المتفق عليه أن اسم (البحرين)، الجزيرة، انتقل إليها من الاسم العام في (البحرين) القديمة. قال الإدريسي:

«وجزيرة أوال جزيرة حسنة، بها مدينة كبيرة تسمى: البحرين، وهي عامرة، خصبة، كثيرة الزروع والنخل، وفيها عيون ماء كثيرة، ومياهها عذبة منها عين تسمى: عين بوزيدان».[1]

وهو يقصد (البلاد القديم) بها، جنوب (جد حفص).[2]

وإذن، فإن اسم (البحرين) الذي تقلّص تدريجياً من منطقة البحرين كلها؛ أُطلق أولاً على هذا الجزء من جزيرة (البحرين)، ثم أصبح عاماً. على الرغم من أن الإدريسي يقول:

«وسميت البحرين بجزيرة أوال، وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين بَرّ فارس مجرى، ومنها إلى بَرّ العرب مجرى».[3]

اضطراب في تحديد البحرين

قال أحد الأعراب:

رمى به في مُوحِش القِفار
بساحل البحرين للصغار

ويقول ابن خرداذبه:

---

(1) أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إدريس، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409هـ/1989م) ص387.

(2) انظر، محمد بن أحمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 004م) ص50.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص386 – 387.

«مدينة البحرين: في شط العرب».[1]

مما يوهم بأنها غير (البحرين): الجزيرة. هكذا، قال ابن بَطُوطة:

«ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار، وماؤها قريب المؤونة، يحفر عليه بالأيدي، فيوجد، وبها حدائق النخل والرمان والأترج، يزرع بها القطن، وهي شديدة الحر، كثيرة الرمال، وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع، فلا يوصل من عُمان إليها إلا في البحر، وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما: بكسير، وهو في غربيها، ويسمى: الآخر بعوير وهو في شرقيه».[2]

ويقول ياقوت:

«كسير وعوير: وهما جبلان، عظيمان، مشرفان على أقصى بحر عمان...».[3]

ومع أن هنا اضطراباً في التحديد مع اتفاق في الأسماء، فالراجح أن الاثنين كليهما يعنيان (البحرين) نفسها لا سواها.

البحرين (البحر الأحمر) أو قرية في تهامة

أما قول حميد بن ثور:

تَــرَوّى مـن الـبـحـريـن عُـوذ رَمـيِّـة

كما استربع البَزّ القِطار المّطبَّع

(1) أبو القاسم، عبيدالله بن عبدالله، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق م - مج - ج- دي جوجه (بريل: مطبعة بريل، 1889م) ص60.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ص279 – 280.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (كسير).

فالمحقق يقول:

«يحتمل أنه أراد هنا: الموضع الذي بين البصرة وعُمان».

وهذا احتمال ليس في موضعه، فحميد يصف السحاب:

....

أدانيه للأوق والسِّيدان والمَين يَضجع[1]

والسحاب الممطر بهذه الكثافة وبهذه السرعة -أو بسواهما- لا يأتي نواحي بيشة من منطقة (البحرين) أبداً، وكل شعراء هذه الجهة إنما يصفون السحاب قادماً من البحر الأحمر؛ فـ(البحرين) هنا مثّنى (بحر) يعنون به: البحر الأحمر تحديداً، قادماً من جنوب تهامة. ويجوز أيضاً أن يقصد به (البحرين) موضعاً بهذا الاسم في جنوب تهامة، قال ياقوت:

«ذهبان: موضع قريب من البحرين، قريب من الراحة؛ والراحة قرية بينها وبين حَرَض يوم، وهو من نواحي زبيد».[2]

وقال الجاسر:

«لاشك أن كلمة البحرين في كلام ياقوت خطأ؛ حرض: في تهامة».[3]

وكلام ياقوت صحيح، ولا يعني به (البحرين): المنطقة المشهورة، وإنما يعني به موضعاً ذاك اسمه في تهامة، جنوبي جيزان، شمال وادي (بيش)، حيث (الراحة).[4]

***

(1) حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مط دار الكتب، 11هـ/1951م) ص106.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (ذهبان).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، ص827.

(4) انظر، محمد بن أحمد العقيلي، مقاطعة جازان الرياض: دار اليمامة، 1389هـ/1969م ج1، ص108.

جواثى

قال البكري:

«مدينة الخط».(1)

وقال الجاسر:

«وقوع القرية في مرتفع من الأرض، وهو حزن منقاد من الآكام، تقع شمال موقع القرية وشرقه، إلا أن الرمال المتموجة قد أحاطت بالقرية من جهتها الغربية... قرية الكلابية الواقعة بقربه... وموقع جواثى مرتفع بالنسبة لقرى واحة الأحساء... وموقع جواثى لا يزال معروفاً بهذا الاسم في الجهة الشرقية من قرية الكلابية الواقعة شرق مدينة المُبَرَّز... في الجهة الشمالية من جواثى جبيل وآكام».(2)

وفيها يقول كثيّر عزّة:

نواعم عُمٍّ على مِيثَب
عِظام الجُذوع أُحِلَّت بُعاثا
كدُهم الرِّكاب بأثقالها
غدت من سَماهيجَ أو من جُواثى(3)

وفيها يقول امرؤ القيس:

ورحنا كأنا من جواثى عشية
نعالي النعاج بين عِدل ومُحْقَق(4)

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (جواثى). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (جواثاء).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، ص429، 431. وانظر، ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج3، ص92.

(3) كثيّر عزة، ديوان كثيّر عزة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، 1391هـ/1971م) ص211.

(4) امرؤ القيس بن حجر الكندي، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، 1963م) ص54. وانظر، علقمة بن عبدة التميمي، الفحل، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي

وقال سَوّار بن حيان المنقري:

فيالك من أيام صِدق نعدها

كيوم جواثى نِيلَ والنباج وثيتلا[1]

ويقول الأخطل:

كأنها بالرَّحى سُفن ملججة

أو حائش من جواثى ناعم سُحق[2]

وقال عبدالله بن حَذَف الكلابي:

فهل لك في شباب منك أمسوا

أسارى في جواثَ محاصرينا[3]

ويقول الفرزدق:

طاروا شعاعاً وما سَلّوا سيوفهم

وغادروا في جواثى سيّدَي مضرا[4]

ويقول أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها

نخل مواقر من نخيل جواثى[5]

ويقول الآخر:

الصقال ودرية الخطيب (حلب: مط الأصيل، 1969م) ص98.

(1) البكري، معجم ما استعجم، (ثيتل).

(2) ياقوت، معجم البلدان (برقة) خينف.

(3) المصدر نفسه، (البحرين).

(4) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص386.

(5) حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1972م) ج1، ص313.

كــأنمــا اجـــتُــثّ عــلــى حــلابــهـــا

نــخــــل جــواثـــى مــن أرطابها[1]

ويقول غيره:

مــا ضَــــرّ أشــنــاسَ لا يــكــون لــه

يـــومُ جُـــــواثـا ويـــومُ ذي قار[2]

وتقول امرأة من عبدالقيس:

لـبـئـس حُـمـاة الـحــرب يــوم لقيتهم

غــداة جُـواثـى إذ تــلـوذون بالنخــل[3]

أما قول حسان:

بــتــنــا بــــدارة جَـــوّاتـــا يُــفَــزِّعــنـــا

صــوت الــريــاح وأصـــوات الــنــواقــيــس

وقال محققه:

«لم أجد دارة جواتا... وأقرب ما في المعجم جواثاء، إلا أنها في البحرين».[4]

والصورة لا علاقة لها بالبحرين؛ فحسان يقول قبله:

لســـنا بـحَـمْـتٍ ولا ريم ولا صَـوَرى

لـكـن بمــرج مــن الجـــوَلان مـغـروس

(1) أبـو الفضـل، جمـال الديـن بن محمـد بن مكرم بن منظور، لسـان العـرب (بيروت: دار صـادر، د – ت) (سيف).

(2) أبو القاسم، عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق م- مج- ج- دي جوجه (بريل: مطبعة بريل، 1889م) ص 152.

(3) أبو عبدالله، محمد بن عمران المرزباني، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي (بغداد: مط دار الرسالة للطباعة، 1396هـ/1976م) ص142.

(4) حسـان بن ثابت، ديوان حسـان، تحقيق: وليد عرفات (بيروت: دار صادر، 1974م) ج1، ص426. وانظر، ج2، ص308.

وهذا يعني أن: (دارة جَوّاتا) في الشام تحديداً.

***

حُــوار

حُوار: بهجر (قرية الحليلة)

قال ياقوت: «ورَوى فيها فتح الراء على أنها مثنّى (حُوارَين)، وعلى أن الحاء تأتي أيضاً بالفتح والكسر، إلى جانب الضمّ»:

«حُوارين بضمّ أوله ويُكسر-: بلدة بالبحرين، افتتحها زياد بن عمرو بن المنذر بن عَصَر، وأخوه خِلاس بن عمرو، وكان فقيهاً، من أصحاب علي رضي اللّه عنه».[1]

ثم جاء برسم ثانٍ، بكسر الحاء والتثنية فقط، فقال:

«حِوارين و(الجيار): قريتان بالبحرين، كأنه ضم (الجَيّار) إلى حُوار، وسمَاهما: حِوارَين».[2]

إلا أن ياقوتاً قال أيضاً:

«حُوار: من نواحي هجَر، ويقال لها: حُوارين أيضاً».[3]

وقال آل عبدالقادر، وهذا غريب، إذ (حُوار) على بعد مسافة من قطر، معروفة، كما يقول هو، ولكن آل عبدالقادر حائر في معنى قول ياقوت: «من نواحي هجر»، يقول:

«حُوار: هي مجهولة المحلّ، ولعلها من قرى الخطّ المجاورة لسيف البحر،

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، حُوارين.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، (حوار).

وذكر لي بعض الثقات أن حُوار جزيرة معروفة الآن بين أوال وقطر».[1]

وكل هذه الأقوال تثير البلبلة بما لا داعي لها، فقول ياقوت الثاني:

«حُوار: من نواحي هجَر، ويقال لها: حُوارين أيضاً».

هو نفسه قوله الأول:

«حُوارين: بلدة بالبحرين».

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون غير هذا، ذلك أن المسلمين اكتسحوا منطقة البحرين كلها، وأقاموا مسجد (جواثى)، فكيف تكون قرية –أو ما عداها– خارجة عن سيطرتهم، وهي مجاورة لهم؟ وهذا يدلّ على أنهم تأخّروا قليلاً في فتح (أوال)، و(قطر) أيضاً، إذ أسلمت أجزاء من البحرين: هجر والقطيف، سلماً، لا حرباً، وتمت مطاردة المرتدين حتى (دارين). وهذا مصداق قول ياقوت:

«حُوارين: بلدة بالبحرين، افتتحها زياد بن عمرو بن المنذر بن عَصَر، وأخوه خِلاس بن عمرو، وكان فقيهاً، من أصحاب علي رضي الله عنه».

ففتح الجزيرة –(حُوار)– تمّ في أوائل خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرِد ذكر لها في الفتوحات الأولى، ولو كان المرتدون على علاقة بـ(أوال)، أو (قطر)، أو ما بينهما، لفرّوا إليها، فهي أقرب لهم من (القطيف) التي لم تخضع نهائياً إلا في خلافة عمر رضي الله عنه، الأمر الذي يؤكد أن فتح (أوال) و(قطر)، وما بينهما (حوار)، لم يكن إلا بعد حين.

وواضح أن التشكك في الاسم جاء من ربط هذه الجزيرة بإنتاج التمور، كما سنرى في قول جرير:

---

(1) آل عبدالقادر، تحفة المستفيد، ج1، ص40.

....

وجـــاءت بـتـمـر مــن حُــواريــن عِـيرهـا

إنـه مـن الواضـح أن ذكـر التثنيـة، أو الجمـع في (حُـوار)، جـاء مـن قـول جريـر السـابق: «وجـاءت مـن حواريـن»، وهـي طريقـة مألوفـة في الشـعر القـديم يتصرّفون في الأسـماء للـوزن؛ ولكنهم لا يضُمّـون المواضع المتباعدة إلى بعضهـا، وهـم عندمـا يتحدثـون عن تمـور الأحسـاء، تـبرز بخاصة إلى سـطح الذاكـرة دومـاً (جواثى) في أشـعارهم، أو بشـكل عام (هجـر)، أي: أن (الجَيّـار) لا ذكـر لـه علـى الإطلاق، فهـو ضمن (جواثـى)، وإنما الذكر لـ(حُـوار) -الجزيـرة- فقـط، وقـد غلبـت في الذكـر على مـا سـواها، وإنما يقصد (حوار) هذه نفسها، كما في قوله الأول:

«حِوارين و(الجيار): قريتان بالبحرين».

وليس هذا فحسب، بل إن ياقوتاً الذي جاء بكل ذلك الخلط، يقول:

«حَرّان الكبرى وحَرّان الصغرى: بالبحرين، لبني عامر».[1]

الجَيّار: هو حُوار الأخرى غير الجزيرة

سـنرى تصحيفـين همـا: (شُـفار)، و(شُـقار)، وفي كليهمـا يعنـون بـه خطأً (حُوار)، الجزيرة، إذ إن قول ياقوت:

(الجَيّار): موضع بالبحرين، كان عنده مقتل الحُطَم... بن قيس بن ثعلبة، لما ارتد بكر بن وائل في أيام أبي بكر رضي الله عنه.[2]

وقوله:

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (حران).

(2) المصدر نفسه، (الجيار).

«ارتـدّ مـن ارتـدّ بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبـة بن عُكابة مـع الحُطَم... فسـار الحطـم حتى لحق بربيعة، فانضمّت إليه ربيعـة، فخرج العَلاء عليهم بمـن انضـمّ إليه من العرب والعجم، فقاتلهم قتالاً شـديداً، ثم إن المسـلمين لجـؤوا إلى حصـن جُواثـى، فحاصرهـم فيـه عدوّهـم... ثم إن العـلاء عَنِيَ بالحطـم ومـن معـه، وصابـره، وهمـا متناصفـان، فسـمع في ليلة في عسـكر الحطـم ضوضـاء، فأرسـل إليه مـن يأتيه بالخـبر، فرجع الرسـول، فأخبره أن القـوم قـد شربـوا، وثملوا، فخرج بالمسـلمين، فبيَّتَ ربيعـة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الحطم... يوم جواثى... فلما ظهر المسلمون... الغرور... لحق هو وفلٌّ ربيعة بالخَطّ».[1]

يذهب بنا تلقائيّاً نحو يوم (جواثى). يقول الجاسر:

«الجَيّـار: الحُطـم قُتـل في جواثـا وجَيّـار هـذا يُذكر مـع حُوار، فيقـال فيهما حُوارَيـن. وإذا صـحّ مقتل الحُطم في جواثا فإن جَيّار ينبغي أن يكون بقربها، من المواضع التي درست، على أنه حين يُقرَن بحُوار يدل على تقارب الموضعين وحُوار إذا كان الموضع الذي لا يزال معروفاً فهو بعيد عن جواثى، إلا إذا كان الحُطم أُصيب بجيار، ثم نُقل إلى حوار الذي تأخر اسـتيلاء المسـلمين عليه. وهذا ليس ببعيد».[2]

وصحيـح أن (الجَيّـار: مـن المواضـع التي درسـت)، إلا أنه ليس صحيحاً في المقابـل: (أنـه حـين يُقرَن بحُـوار يدل على تقـارب الموضعين)، فهـذه إحدى طـرق القدمـاء في حشـد المواضع، أحيانـاً، بيد أنه كان ينبغـي التركيز على: «وحُـوار إذا كان الموضع الذي لا يـزال معروفاً فهو بعيد عن جواثى»، لنبحث عـن ذلك البعـد، أي: أن (الجيّار)، لا علاقة له مطلقاً بـ(حُوار)، الجزيرة،

(1) المصدر نفسه، (البحرين). وانظر، (جواثاء).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، ص446.

لا أن نفترض: «إذا كان الحُطم أُصيب بجيار، ثم نُقل إلى حوار»، ومن ثم علينا أن نستبعد كلية نتيجته: «وهذا ليس ببعيد».

ولم يُنقل جُثمان الحُطم إلى (حوار)؛ لأنه من غير المعقول أن يجتازوا الرمال حتى ساحل العقير، ثم ينقلوه بالسفينة إلى (حُوار)، أو يجتازوا قطر، فيخوضوا البحر، وإنما قُتل في (الجَيّار)، وبها دُفن، و(الجَيّار) غير (حُوار) الجزيرة تلك. وكان الصواب- هو قوله: «الجَيّار: من المواضع التي درست»، ثم قوله الآتي: «وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثى». دون قوله:

«وقد غمرتها الرمال»، وقوله الآخر الآتي أيضاً: «وإذا صحّ مقتل الحُطم في جواثا فإن جَيّار ينبغي أن يكون بقربها».

وكما سيأتي توضيحه. وسبق أن قال آل عبدالقادر «حُوارين: مجهول المحلّ»، دون التورط في فرضية: «ولعلها من قرى الخطّ المجاورة لسيف البحر». وأخيراً، فالصحيح قول الجاسر أيضاً عن (الحُوارين):

«وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثى وقد غمرتها الرمال، كما غمرت كثيراً من القرى، أما حُوار، فهي معروفة، تقع جنوب جزيرة المنامة على مقربة من الساحل الغربي لجزيرة قطر، وهي غير مسكونة، وقد يكون اسم حوار القرية إلى هذه الجزيرة بانتقال أهل القرية إليها، كما انتقل اسم البحرين إلى جزيرة أوال».(1)

وهنا يتعلق الجاسر برسم الأسماء، كما وردت في مظانها، وكيفما كان تحديدها فيها، إذ راح يبحث عن (حُوارين)، محاولاً الربط بينه وبين (حوار) -الجزيرة- دون الالتفات إلى موقعه الحقيقي.

(1) المرجع السابق، ج2، ص559.

يقول عمارة بن عقيل:

عـن عـامـر وبـنـي جـذيمـة إذ هـوى

لـلـحـين (حَـــدّ) جـذيمـة العَشّار[1]

وكان العدد والكثرة فيها لبني محارب، قال ياقوت:

(شُفار): أهلها بنو عامر بن الحارث من عبد القيس.[2]

وإذن، فنحن أمـا تصحيف جديد هو هذا المذكور (الجيّار)، موضع لا علاقة له بـ(حُوار).

وعلى كل حال، يمكن تحديد موقع (الجَيّار) -حسب هذا الرسم- الآن بكل وضوح من تلك المعركة الطاحنة بين المسلمين والمرتدين، فالمرتدون كانوا أسفل الحصن -حصن (جواثى)- من ناحية الشمال؛ لأنهم بعد هزيمتهم فرّوا هاربين إلى (القطيف)؛ ولأن مجيئهم إلى (هجَر) كان من الشمال أيضاً، فـ(الجَيّار) ليس قريباً من (جواثى) فقط، بل ملاصقاً لها من الناحية الشمالية؛ لأن المسلمين سمعوا ضجيج السُّكارى من داخل الحصن، وهم لا يسمعونه لو كانوا مجرّد قريبين منه، فقد كان المرتدون مُطبقين على الحصن. إنها أرض زراعية، وليست رملية، كما وصف الجاسر سابقاً: (وقد غمرتها الرمال)، بل أكثر من ذلك: إنها الآن هي (الحليلة) نفسها، أي: في قلب الأحساء. وكان معسكر المرتدين في طرفها الشمالي.

قال عمارة بن عقيل:

واســـأل حُـــوار غـــداة قـتـل محلّـم

فـلـيخبـــرنَّك إن سـألـت حُـــوار[3]

ويعني هذا أننا في منطقة الأحساء، حيث تقع الحروب على مصادر المياه،

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (حوارين). وانظر، (حرّان). (حدّ): أظنها (جَدّ).

(2) المصدر نفسه، (شفار).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (حوارين).

وفي نطاقٍ يمكن التحرك منه بسرعة نحو الصحراء: الدهناء والصمان، غرب الأحساء، يحدّده ذكر (محلِّم) (عين أم سبعة)، كما سنعلم بعد قليل، ومن هنا وقع اللبس بذكر (حُوار)، الجزيرة.

وينقلنا قول عمارة ذاك إلى قوله:

عامر وبني جذيمة إذ هوى

....

فياقوت يستشهد به على الجزيرة حين يقول:

(شُفار): أهلها بنو عامر بن الحارث من عبد القيس.

ونحن نراه يربط بين (محلِّم): عين أم سبعة -التي سيأتي الحديث عنها- و(حوار)، أي: أن الحديث عن (حوار) الملاصقة لـ(جواثى)، لا عن (حوار) الجزيرة، على الرغم من أن ياقوتاً يخلط بين (حوار) الجزيرة، و(حوار) التي في جهات (محلم)/ (جواثى).

هذه مسألة، والمسألة الأخرى أن جريراً ثنى الاسم (حُوار)، فظلّ الذهن ينصرف إلى (حُوار) الجزيرة أيضاً. قال جرير:

أفخراً إذا رأيت وِطابُ مجاشع

وجاءت بتمر من حُوارين عيرها[1]

وهنا تنكشف لنا الحقيقة، فبنو مجاشع، قوم الفرزدق، الذين كانوا يمتارون التمر، لم يكونوا ليذهبوا إلى تلك الجزيرة عبر الرمال الشاقة، فينقلوا تمرها إلى البادية، حيث منازل مجاشع، في جهات الحَفر- حفر الباطن، وإنما كانوا يأتون إلى الأحساء، هجر، وفي أسواقها الداخلية، ثم يخرجون

(1) جرير، ديوان جرير، ج2، ص881.

على عجل إلى منازلهم، وهم كانوا دوماً يفعلون هذا، وهو ما سنصادف مثله عند الحديث عن (عينين).

ومن ثم، فالموضع هو (حُوار)، وهو موضع آخر غير المقترن بالجزيرة، وقد وقع فيه تصحيف، فاشتبه بغيره، بدليل قول جرير تثنية أو جمعاً –وفق القراءة– وقول عمارة.

وهنا يتحقق رأي الجاسر، دون التشكك فيه، أو التفريط به:

«وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثى».

مقتل الحُطَم في حوار/ جيّار/= الرَّدْم/ رَدم القداح

قال ياقوت فيما سبق:

«الجَيّار:..عنده مقتل الحُطَم».

ورأَينا أن هذه هي الرأس الشمالي لقرية (الحليلة)، حتى بالتصحيف في (جيار). وإن أقدم مصدر بين أيدينا الآن ممّا ذكر (جَيّار)، مرتبطاً بحروب الرِّدة هو كتاب نصر الإسكندري (ت 561هـ تقريباً) في كتابه (الأمكنة والمياه والجبال). وعنه نقل الحازمي (ت584هـ) في كتابه (الأمكنة)، ثم نقل عنهما ياقوت، في معجم البلدان. على حين أن المصادر الأولى، وأسبقها كتاب الرِّدة للواقدي، لم تذكر (جيّار) هذا أبداً. وعن كتاب الواقدي هذا تناقلت المصادر الأخرى، الأمر الذي نتبيّن منه تداخل الاسمين: (حوار) و(جَيّار)، ودفع –بالتالي– إلى تفسير التثنية أو الجمع. بل إن المصادر الأولى التي كان أولها كتاب الواقدي، والتي لم تذكر (جيّار)، لم تذكر ما ذكره نصر من أن الحُطَم قُتِل في (جَيّار)، والمصدر الأول لهذه الأخبار هو الواقدي الذي ذكر مقتله في (الرَّدْم)،[1] وكل المصادر تتّفق على

(1) الواقدي، كتاب الردة، ص163.

مصـرع الحُطَـم في جـوف المعركـة- معركـة (جواثـى)[1] في رأسـ (الحليلة الشـمالي)، فجيوش المسـلمين داهمت المرتدين، منقضّين عليهم من حصن (جواثـى)، ومن الجهات الغربية، خارج الحِصن بقيادة العَلاء الحضرمي، وفي هـذه الحالة لا محالة من قتل الرئيسـ، أي: الحُطَـم، فالمعركة وقعت في مكانها الصحيح من (هجر)، معركة (الرَّدْم)، فـ(الرَّدْم) هو (حوار) وهو (الجيّـار)، والحُطَـم قُتل هناك في (الـرّدْم)، ودُفِن بـه، إذ تركه المرتدون، وولّوا منهزمين نحو القطيف، وكانت حكاية ياقوت عن جوّ المعركة، وتحديده لهـا صحيحين، إلا أنه اضطرب في تسـميته المعركة- نقلاً عمّن سـواه. ولقد جاء في كتاب تاريخ الرّدة للكلاعي (ت634هـ) توضيح أكثر حين قال:

«بعـث مُخـارقُ بـن شُـريح، أحد بني قيسـ بـن ثعلبـة... إلى مرزبـان الخَطّ (القطيـف) يسـتمدّه، فأمـدّه بالأسـاورة، فنـزل الحُطم رَدْم القـداح، وكان حَلَـف أن لا يشـرب الخمـر حتـى يرى هجـر، فقالوا لـه: هذه هجر... وسـار الحُطَـم وأبجـر بـن جابر العجلـي فيمن معهما حتـى (حضـروا) العلاء بن العـلاء الحضرمـي الجُواثـاء... فمكثـوا محصوريـن... ثـم سـار العلاء بن الحضرمي إلى الخَطّ».[2]

ويمكـن تحديـد موقع المعركـة الآن بكل وضوح مـن ذلك القتال الشَّرِسـ بين المسـلمين والمرتديـن، فالمرتـدون كانوا أسـفل الحِصن -حصـن (جواثى)- مـن ناحية الشـمال؛ لأنهم، بعـد هزيمتهم، فرّوا هاربـين إلى القطيف؛ ولأن مجيئهم إلى (هجر) كان من الشمال أيضاً، فـ(الرَّدْم) -أو (رَدْم القداح)-

(1) انظر، أبا العباسـ، أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيسـ الطباع وعمـر أنيسـ الطباع (بيروت: دار النشـر للملايـين، 1377هـ/1957م) ص ص114 – 115؛ الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص203؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص370.

(2) أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي، تاريخ الردة، اقتبس من الاكتفاء، خورشيد أحمد فاروق (دهلي: مؤسسة فيكاس الخاصة، 1980م) ص ص138 – 139، 1142.

ليس قريباً من (جواثى) فقط، بل ملاصقاً لها من الناحية الشمالية؛ لأن المسلمين سمعوا ضجيج السكارى، وهم لا يسمعونه لو كانوا قريبين منه، فلقد كان المرتدون مُطبِقين على الحِصن.

إنها أرض زراعية، وليست أرضاً رملية، وكان الفاصل بين جيوش المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي والمرتدين من الجهة الغربية عبارة عن خندقين متقابلين.

فإذا كان المسلمون آتين من الغرب، وإذا كان المرتدون قادمين من القطيف، فإن الجهة الوحيدة الباقية هي الجهة الشمالية. وعليه، فإن موقع (الرَّدم) / (رَدْم القداح) / (حوار) (جَيّار): هو الرأس الشمالي من قرية (الحليلة) الآن، حيث تمركز جيش المرتدين في شمالها، فـ(الرَّدم): هو (الحليلة)، وهو (حوار) وهو المصحف (الجيّار).

يقول قيس بن عاصم المِنقري، قاتل الحُطم في جوف المعركة:

لما بدا لي حُطَمٌ وحده
يدعو بأعلى الصوت مَنْ عاقلي
أقبلتُ في النَّقْع إلى فارس
أشبهَ شيءٍ منه بالزاجل

وبعده:

لما انثنى وثنى رِجلَه
عمَّمتُه بالمُرهَف القاصل[1]

إذن، (جيّار): أي: (حوار) هجر، ما هو إلا (الرَّدْم) أو (رَدْم القداح).

(1) الواقدي، كتاب الردة، ص ص164 – 165.

الخلاف حول (الرَّدْم)

جاء في كتاب (الردّة) للواقدي (ت207هـ):

«انهزم الكفار إلى موضع يقال له: الرَّدْم... سار العلاء بن الحضرمي بمن معه يريد جزيرة دارين... حتى وافى الكفار بموضع يقال له: الرَّدْم... وانهزم الكفار... وقد كان رئيس لهم يقال له: الحُطَم بن زيد... بصُر به رجل من المسلمين، فحمل عليه، وضربه، فقتله، وانهزم الفرس... فصار بعضهم إلى موضع يقال له: الزارة والقطيف».[1]

وهذا يعني نقل موضع القتل إلى جهات القطيف الشمالية، أي: بعد فِرار المرتدين إلى (الزّارة) (الرمادة - قرب العوّامية)، ثم إلى العراق. وهنا نقع في مشكلة، فالقائد كان في جوف المعركة الأولى، معركة (جواثى)، وكان سكران، ولابدّ أنه قُتل بها، كما تتّفق المصادر جميعاً نقلاً عن الواقدي نفسه. ومن الواضح هنا أن خللاً في الرواية أدّى إلى ذلك التداخل، ولاسيّما أنه المصدر الأول الذي تُنُوقِلت عنه جميع الروايات التالية، وهو لا يعني إلا معركة (جواثى)، فـ(الرَّدم) حولها.

الرَّدْم/ قرية (الحليلة)

يقول ياقوت:

«الرَّدم: قرية لبني عامر بن الحارث العبقسيين، بالبحرين، وهي كبيرة».[2]

وذكر الرجز التالي:

كم غادرت بالرَّدْمِ يوم الرَّدمِ

---

(1) المصدر نفسه، ص ص158 – 159.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الردم).

وبيِّن أن هذا الرجز قيل في يوم (الرَّدم). ومن ثمّ، فـ(الرَّدْم): اسم معروف في هذه الناحية من الأحساء.

وهناك يوم آخر غير يوم (الرَّدْم) الأول هذا، وهو الذي قال عنه المسعودي في معرض كلامه عن (جواثى):

«وكان بها العريان بن هيثم الرِّبعي... علي بن محمد، المنتمي إلى أبي طالب، صاحب الزنج، الناجم بالبصرة، عند ظهوره بالبحرين، في تميم، وكلاب، ونمير، وغيرهم، وذلك قبل مسيره إلى البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبدالقيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان».[1]

وعلي بن محمد هو القائل:

أيحسبني العُريان أنسى فوارسي

غداة نِزال الرَّدم والموت عالق[2]

ويقول الجاسر:

«الرَّدْم: هذا من الأمكنة التي درست، فجُهِل موقعها».[3]

والمتأمل في حركات التمرد في البحرين التي تشترك فيها بنو عامر، يجد أن هذه الأحداث كثيراً ما تنطلق من الأحساء، وجيوش الخلافة العباسية كانت تهاجم الأحساء، بل حتى المعارك التي خاضتها الأحساء ضد الهجمات القادمة من الشمال، كانت تقع في جهات شمال (المبرّز)، وفي جهات (البطّالية). وعليه، فإن موقع (الرَّدم): هو موقع (الحليلة) الآن، وهو ما

(1) أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف (ليدن: مط بريل، 1893م) ص ص392 – 393.

(2) المصدر نفسه، ص393.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، ص752.

يتوافق توافقاً طبيعيّاً مع المعركة الدامية التي نشبت بين المسلمين والمرتدين.

ثم إن عليّ بن محمد يقول في هروبه إلى العراق:

أيـا طـائـر الـصَّـمّـان مـالـك مُـفـرَداً

تـأسَّـيـت بـي أم عـاق إلـفَـك عـائـق [1]

والفـارُّ مـن القطيـف ونواحيـه لا يمـرّ بـ(الصَّمّـان)، وإنما يجتـاز الدهنـاء، والـذي يمـرّ بأطراف (الصَّمّان) الشـمالية الغربية نحـو العراق هو الخارج من الأحسـاء، وهذا تأكيد على أن (الرَّدم): بالأحسـاء، وذلك موقعه. وقول ياقوت السابق:

«الرَّدْم: قرية كبيرة...»، يعني في الأحساء، فهي ذات القُرى، وقرى القطيف صغيرة، وليست بذلك الحجم.

وهكذا، يتضح أن (حوار) –وهو ما يعنينا كثيراً– ليس المقصود به جزيرة (حوار)، وإنما المقصود به هذا الموضع من (هجر)، ولا شيء سواه، وهو ما يؤكـده قـول عمارة بن عقيل. وإنما جاء اللَّبْس والغموض مـن بروز (حوار) الجزيـرة إلى سـطح الذاكـرة فقط، علـى حين لا قيمـة آنـذاك تاريخيّاً، ولا اقتصاديّاً، بَلْهَ سياسيّاً أو عسكريّاً لـ(حوار) الجزيرة.

تصحيف في حوار

قـال ياقـوت، وهـو يعـيّن (حُـوار)، وجـاء بـه مصحّفـاً، (شُـفار)، بـدلاً من (حُوار):

(شُفار): وهي جزيرة بين أوال وقطر، فيها قرىً كثيرة.[2]

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص393.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (شفار).

كما جاء مصحفاً أيضاً، وبالتحديد نفسه عنده في رسم مفرد (شُقار)، بدلاً من (حُوار):

«شُقار: جزيرة بين أوال وقطر فيها قرى كثيرة، من أعمال هجر».[1]

وسبق أن قال الجاسر عن هذه الجزيرة:

«غير مسكونة»،

وهذا صحيح إلى وقت ليس ببعيد. ولكن قوله الآخر:

«وقد اختفت هذه الجزيرة، وطغى عليها البحر، فلا يوجد لها أثر».

غير صحيح، ومع ذلك فهذان القولان يدعمان الرأي الذي نذهب إليه هنا من ضآلة مكانتها، لولا تحديدها الجغرافي فقط، وبالتالي يؤازر النتيجة التي تجعل إنتاج التمور وتصديرها خاصّاً بهجر وحدها، وفيها (حوار) (الحليلة).

ويلفت النظر في قولي ياقوت:

«فيها قرىً كثيرة»، وهذا ما لا يكون على أرض (حُوار) الجزيرة، وكان ياقوت يتحدّث كثيراً عن (حوار) التي وردت في قول عمارة بن عقيل، والتي تصحفت إلى (الجيّار)، والتي اتضح لنا أن المقصود بها منطقة النخيل بهجر، حذاء (جواثى)، فصحيح ذكر موقعها هنا، وليس بصحيح وصفها هذا، وإلا لكان لها شأن في التاريخ والأدب، كما (أوال) على الأقل.

---

(1) المصدر نفسه، (شقار).

وانظر، فضل بن عمار العماري، مجلة الواحة، ع62، س17 (صيف 2011م) ص ص9 – 16. ففيه عدم توضيح للفكرة بشكل جليّ.

سماهيج

جاء تعريفها على أنها:

«بالبحرين، لعبدالقيس، وكذلك جواثى».[1]

«قرية على جانب البحرين، ومن جواثى».[2]

وسبق أن رأينا كثيّر عزة يقول:

نــواعــم عُــمٌّ عــلــى مِـــثَـب
عِـظـام الجُـــذوع أُحِــلَّــت بُـعـاثـا
كــدُهـم الــرِّكــاب بـأثـــقـالـهـا
غـدت مـن سَـمـاهـيـجَ أو مـن جُـواثـى

وهـذا هـو تعريـف القدماء، يربطـون بين المتداول عـن (سـماهيج) وما فيه علاقة لها بـ(جواثى)، فهي (من جواثى)، فالصورة غائمة، وليست واضحة عندهـم، وباسـتثناء قـول البكـري «قرية على جانـب البحرين»، فـإن هذا لا يزيل الالتباس، إذ إن التعريف المتداول عن (سماهيج)، هو قول ياقوت:

«سماهيج: اسم جزيرة في وسط البحر، بين عُمان والبحرين».[3]

وجاء في التاج:

«سـماهيج: جزيـرة في البحـر تدعـى بالفارسـية: ماش ماهـي، فعـرّبتها العرب».[4]

وفي مثل هذا يقول الجاسر:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (ميثب).

(2) ياقوت، معجم البلدان، (سماهيج).

(3) المصدر نفسه.

(4) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: مط الخيرية، ط1، 1306هـ) (سمهج).

«يظهر أن سماهيج هي ما يعرف الآن باسم: جزيرة المحرّق... لأن الجانب الشرقي من جزيرة المحرق لا يزال معروفاً باسم: سماهيج، واسم المحرق لم يكن معروفاً عند الأقدمين لهذه الجزيرة. قول البكري إن سماهيج لعبدالقيس، لعله استنتجه استنتاجاً، من كون كثيّر ذكرها مع جواثا، وهذه لعبدالقيس، لأن جزيرة أوال كانت لبكر وائل، وسماهيج من أوال». [1]

وهكذا، استقرّ في الأذهان أن (سماهيج) هي (المحرّق)، على الرغم من تباين التعريفات السابقة. وهذا لا يمكن إطلاقاً، فـ(سماهيج) التي في البحرين المعاصرة، تقع في جزيرة المحرق، وهي جزيرة صغيرة -وهكذا، لو كانت في جزيرة غيرها، أو حتى لو أن اسم المحرق: (سماهيج)- كانت مفصولة عن جزيرة المنامة الكبيرة، يفصلها البحر، و(سماهيج) الآن قرية صغيرة في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة المحرق، المحدود المساحة، ولا يمكن أن تأخذ شكل صورة الظعائن، متنقلة في البراري، قاطعة مسافات بعيدة، وراحلة عن موطنها «غدت»، محمَّلة بالبضائع «التمور- خاصة»، وكأنها راحلة من تلك القرية الصغيرة التي لا تُتيح مجالاً لتحرك الإبل، ذات الأحمال الثِّقال، وقد خصّها باللون المناسب للإبل التي يُحمَل عليها، أي: السود، الغِلاظ، الكبيرة الأحجام «كدُهم الرِّكاب» في أرجاء تلك الجزيرة الصغيرة، المحرَّق. بل أيُّ تمرٍ يُجلب من (سماهيج) (المحرق)، وتَمْر البحرين عامة غير قابل للتخزين والتصدير، وليس بها تلك الكميات الضخمة التي تنقلها الإبل إلى أماكن بعيدة؛ والتمر عموماً -على مدار التاريخ- إنما يُصدَّر من الأحساء، كما هو ذكر قرينتها (جواثى) هنا؟! وإذا كانت (المحرق) هي(سماهيج)، فأين ستذهب الإبل؟ بل كيف كانت تُنقَل تلك الإبل بعد عبورها من (المحرق) إلى جزيرة المنامة، حتى تُوصَل إلى

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، حاشية ص ص868 – 869.

(العقير)، ميناء الأحساء؟ وما الجدوى الاقتصادية من ذلك التمر؟ وتدل المقارنة بين تحرك الإبل من (جواثى) -مدينة الخط- شرق قرية الكلابية، على أن (سماهيج) في الجهة المجاورة من الأحساء، وحيث إن الإبل تتحرك من مكان ذي شهرة في الأحساء، فإن الإبل في الجهة الأخرى تتحرك من مكان ذي شهرة في المنطقة نفسها، ويدل الاتجاهان على أن (سماهيج) تقع في شرق (المُبَرَّز)، وكانت أن اندثرت، وتلاشى اسمها؛ ولولا أن (جواثى) كان لها ارتباط تاريخي بمسجد (جواثى) هناك، لآل مصيرها إلى مثل ما آل إليه مصير (سماهيج). ولا غرابة أن نجد أسماء مشتركة بين العضوين المتقاربين: الأحساء -بل القطيف أيضاً- و(أوال) (البحرين المعاصرة)، فهناك مثلاً نجد (سنابس) في جزيرة المنامة، كما نجد (سنابس) في تاروت، ونجد (الجشّ) في الأحساء و(الجشّ) في القطيف.

أما الزعم بأن البكري استنتج ذلك استنتاجاً من قول كثيّر، فليت الجاسر وافقه على هذا الاستنتاج، إن كان استنتاجاً، مع معقوليته، بل حتميته، كما مرّ، وليس البكري وحده هو الذي قال هذا، بل حتى ياقوت قاله، ألم يقل ياقوت:

«على جانب من البحرين»؟

فهو لا يقصد (أوال) بالطبع؛ لأن (أوال) كانت معروفة لديه، وإنما يقصد ما قصده البكري، أي: في جهة البحرين القديمة، بما يعني منطقة الأحساء، لقد قال ياقوت بصريح العبارة:

«قرية على جانب البحرين، ومن جواثا».

والبكري عندما قال:

«سماهيج:... لعبدالقيس، وكذلك: جواثا»،

لم يقل هذا عبثاً، وإنما قال ما قاله وهو يعنيه، أي: أن (سماهيج)، في جهة (جواثا)، وأنهما كلتيهما (لعبد القيس).

وعلينا التدقيق مرة أخرى في قول ياقوت، عدا البكري:

«سماهيج: قرية على جانب البحرين، ومن جواثى».

فما معنى قوله: «ومن جواثى»؟ ألا يعني ذلك التلازم بين الموضعين: (جواثى) و(سماهيج)؟ ثم ما معنى قوله الأول: «على جانب البحرين»؟ لِمَ لم يقل على جانب (أوال) مثلاً؟ والبكري عندما قال: «سماهيج لعبد القَيس»، لم يقل هذا عبثاً، وإنما قال ما قاله، وهو يعنيه، أي: (سماهيج) في جهة (جواثى)، فكلتاهما لعبد القيس، إنهما (من البحرين) (قديماً)، أي: الأحساء هنا، وإنها: «من جواثا»، أي: قريبة منها. وكلتاهما يقعان (شرقي قرية الكلابية)، أي: شرقيّ الأحساء.

أما قول الجاسر في حاشيته:

«كلمة ومن (جواثى) لا محلّ لها هنا، فسماهيج بعيدة عن جواثى، إذ هي في البحر، وجواثى في واحة الأحساء»،[1] فهو قول من يتمسك بـ(سماهيج) المعروفة، مع أن قول كثيّر نفسه يحمل ذلك المعنى: «غدت من سماهيج أو من جواثى»، أي: أن الموضعين متلاصقان متجاوران، ومنها تنطلق تجارة التمور، وتمور هجر مشهورة منذ قديم الزمان، والذي هو جدير بالملاحظة أن موضع تصدير التمور في البحرين القديمة هو هجر، وبخاصة تلك التمور التي تشتهر بها منطقة الأحساء؛ لأن تمور الساحل -والبحرين (أوال)، ومنها (سماهيج) بها- تتأثّر بالرطوبة!

(1) المرجع نفسه، حاشية ص867.

الصورة الشعرية لـ(سماهيج)

إذن، فهذه التي في شرقيّ الأحساء، هي التي يقول فيها أبو دؤاد الإيادي في إبله:

فـإذا أقبلت تقول إكام
مُشرِفاتٌ فوق الإكام إكام
وإذا أعرضت تقول قصور
من سماهيج فوقها آطام [1]

إننا أمام صورة شبيهة لصورة كثيّر عزة من واقع وصف الإبل بالضخامة والجسامة، غير أن أبا دؤاد الذي سبق كثيّراً بزمن طويل، يقدّم صورة جليّة للموقع، مركِّزاً على مفردة (الإكام) -جمع أكمة- أي: المرتفعة والعالية الصعبة من الأرض من جميع جوانبها، وهو يحدِّثنا عن (سماهيج) ذات الآطام، أي: الحصون، القصور. أي: أننا أمام موقع أثريٍّ قديم، بات منذ أمد طويل تحت الأرض، أي: تلك القصور المشيَّدة والحصون المنيعة هنالك. فالأحساء -ذات الامتداد الجغرافي- هي التي تحتمل هذا الوصف؛ ففيها يمكن أن تكون قصور، جوانبها مرتفعة، و(آطام) (أي: حصون). وما ذكرى (جواثى) إلا بعضٌ من تاريخها العريق، وليست تلك القرية في جزيرة المحرق؛ فجزيرة المحرق منخفضة، وتخلو تماماً من المرتفعات لإقامة (الآطام)، وإنما تنتشر المرتفعات في شمال شرق (المبرز)، أي: شمال (جواثى)؛ فالقصور على وهاد من الأرض، وهي قصور كثيرة، لا قصرٌ واحد، وحواليها (الآطام). وإذا كانت آثار (جواثى) اندثرت -على قيمة

---

(1) أبو دؤاد الإيادي، شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الشعر العربي، تأليف: غوستاف فون غرونباوم، ترجمة: إحسان عباس وآخرون (بيروت: مكتبة الحياة، 1959م) ص339. وانظر، ابن منظور، اللسان، (سماهيج).

المسجد بها- فما بالك بـ(سماهيج)؟ إن الصورة عتيقة جدّاً. وشيئاً فشيئاً اختفت آثارها البارزة، وتحولت إلى قرية زراعية، حالها كحال (جواثى)، كما وصفوها بعد ذلك بأنها (قرية)، ومن هذه القرية تأتي التمور. ولم يَعُدْ لـ(سماهيج) هذه ذكر بعد حين. ويصدق قول محققي ديوان ابن مقرب على (سماهيج) هذه حين قالوا:

«يبدو من شعر كثيّر عزة أنها كانت مدينة عامرة في وقته، ومشهورة بالتجارة».[1]

ولكنه لا يصدق إطلاقاً على ما يسعون إلى إثباته من أن كثيّراً قصد تلك التي بالمحرق -وهم أدرى مِن سواهم بكل ما يتعلق بالتمر والحمولة والطبيعة-؛ فأولاً: إن هذا غير معقول من الناحية الجغرافية، وثانياً: إن إنتاج هذا الجزء من (المحرق) -أو هو في الحقيقة (المحرق) بكاملها في ذلك الزمان- وهو الجزء المثمر فقط، -إذ لا توجد عيون ماء إلا به- لا يشكّل أبداً تلك الصورة «كدهم الرِّكاب بأثقالها»، مع مشابهة الصورة قبلها:

نواعمُ عُمٌّ على مِيثَبٍ

عِظام الجُذوع أُحِلَّت بُعاثا

هذا فيما يخصّ (سماهيج) البحرين، أما (سماهيج) الأحساء، فهي التي ينطبق عليها ذلك، ومنها تنطلق القوافل. وبالتأكيد، فإن كثيّر عزّة ينقل صورة عتيقة، متوارثة، من صور الشعر العربي المشتركة، حيث لم يَعُد لـ(سماهيج) الأحساء وجود، وبقي ذكرها مخزوناً في الذاكرة الأدبية، بينما ظلت (جواثى) حتى العهد الإسلامي، وقُدِّر لها أن تبقى لِما لها من إشارة إسلامية، إذ لم يرِد لـ(سماهيج) هجر ذكر في المصادر الإسلامية المبكرة

(1) علي بن المقرب العيوني، ديوان ابن مقرب، تحقيق: عبدالخالق عبدالجليل الجنبي وآخرون (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، 1424هـ/2003م) ج2، حاشية ص1292.

ﾓ ﾓ

في أثناء الفتوح الإسلامية. ويدلّ وصف أبي دؤاد على مبانٍ شاهقة وعمران، كتلك التي تحدثوا عنها في وصف حصني (المشقّر) و(الصفا) مثلاً. وهي آثار تعكس حضارة نشأت يوماً ما على سفوح تلك الآكام، وفي أرجائها، ولكنها حضارة غائرة في التاريخ البعيد. وبالتأكيد، فأبو دؤاد الإيادي -وهو شاعر ليس قديماً جدّاً (ت500م)، والذي لم يتصل بالمنطقة- كان ينقل، كذلك، الصورة التذكارية أيضاً من موروث أسبق منه، وصورة أبي دؤاد تقترب كثيراً من صورة كثيّر عزّة في التشبيه، وتعميق التشبيه بما يبدو مماثلاً له.

إن قول الجاسر السابق الذي مضى:

«قول البكري إن سماهيج لعبد القيس، لعله استنتجه استنتاجاً، من كون كثيّر ذكرها مع جواثا»،

صحيح كل الصحة، وسبق أن قلنا: ليت الجاسر قبل هذا الاستنتاج؛ لأن العلماء القدامى كالبكري وياقوت، وأضرابهما لا عهد لهم بهذا الجزء من الجزيرة العربية، وإنما ينقلون ممّا هو مُتاحٌ بين أيديهم من مصادر أقدم منهم، والبكري بالذات كثيراً ما يبدي رأياً في مثل هذه المسائل، فيصيب فيها ويخطئ، إلا أن استنتاجه هنا وافق كل الموافقة الموضع موقعاً وطبيعة، وفات الجاسر -كما فات محققي ديوان ابن مقرب- التمييز بين الموضعين: (سماهيج) الداثرة في الأحساء، و(سماهيج) العامرة بالمحرق.

وبعد، فإذا أردنا تعيين موقع (سماهيج) الأثرية في ناحية (الخط) -ذلك أن الساحل لا يحتمل الآطام والقصور- ومن (جواثى) فإن موقعها هو جهة شقيقتها (جواثى)، تحت آكام (كنزان)، فـ(كنزان)، كما يحدده الجاسر:

«كنزان: يقع في الشمال الشرقي من موقع جواثى، البلدة القديمة، وهو آكام

ممتدة (جال)، يشاهد من جبل القارة وما حوله، شمال جبل القارة».[1]

فالقصور تتربع وسط القرية الأثرية المندثرة الآن، كما اندثرت آثارها، وتطل عليها من آكامه (الآطام).

إن وصف أبي دؤاد الإيادي، وقول كثيّر، والربط بين (جواثى) و(سماهيج)، أي: قولهم: «سماهيج قرية على جانب البحرين، ومن جواثى»، لبراهين كافية على موقع هذه القرية الأثرية -أو ما أسماه محققو ديوان ابن مقرب (المدينة)- وما بقاء هذه الآكام إلا دليل آخر على أن أبا دؤاد الإيادي تحدّث عمّا هو مسموع في الشعر أو الأخبار السابقة عليه، أو أنه جاءه من نقل جمعي، من واقعٍ كان موجوداً ذات يوم.

موقع (سماهيج)

وهي التي يقول فيها الراجز، مبيّناً كونها في جهة الخطّ:

يا دار سلمى بين ذات العوج

جرت عليه كل ريح سيهوج

هوجاء جاءت من جبال ياجوج

من عن يمين الخط أو سماهيج[2]

وواضح من الصورة أن الرياح قادمة من الشمال الشرقي من جبال (ياجوج)، أي: بلاد فارس وما وراءها، وهنا لدينا موضعان ذوا شهرة، ومتقاربان، وهما:

(الخط): الساحل الشرقي حتى (العقير)، بل حتى (قطر).

---

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1514. وانظر، ج1، ص429.

(2) ابن منظور، اللسان، (سمهج).

و(سماهيج) بمحاذاته، في جهة ليست بعيدة عن (العقير)، والرياح متجهة نحو الجنوب الغربي، حيث (ذات العوج)؛ ولهذا تلازَم الموضعان (الخط) و(سماهيج):

يا دار سلمى بين ذات العوج

جرت عليه كل ريح سيهوج

وهذا صحيح، كما سنتبيّن، ولكنه لا ينطبق على هذه التي بالأحساء.

وأمر آخر، وهو أن هذا الرجز قديم، وقائله رجل من بني سعد، سعد تميم[1]، الذين يسكنون الرمال: الربع الخالي والدهناء، وهذا واضح من وصف الأطلال هنا، ثم إنه يتحدّث عن معرفة بالأرض، في (الخط) والأحساء، وليس عن تلك الجزيرة النائية في البحر، والتي لم يعرفها، على تلك الصفة، ودليله اقتران (الخط) و(سماهيج)، بالأحساء عنده.

علاقة بكر بن وائل بـ(أوال) والساحل الشرقي للبحرين (القديمة)

إن في كلام الجاسر السابق ما يستوجب التوقف، فهو يقول:

«جواثى: وهذه لعبدالقيس؛ لأن جزيرة أوال كانت لبكر بن وائل».

وليس في التاريخ أن بكر بن وائل كانت في (أوال)؛ ذلك أن بكر بن وائل ظلت متبديّة، نائية عن مناطق الحاضرة إلى فترة قبيل الإسلام، وكانت منتشرة في المناطق المتاخمة للأحساء والقطيف، تتقدم رويداً رويداً؛ أما سكان البحرين من الحاضرة، فكانوا عبدالقيس، تخالطهم تميم، وأخلاط كثيرة من الغرباء عن المنطقة، وكانت (أوال) بالذات لعبدالقيس، وأخلاط كثيرة من تميم.

---

(1) المصدر نفسه.

لقد حاولت بكر أن تتقدم نحو هجر، لقيمتها الاقتصادية، غير أن عبدالقيس تصدت لها، وأبعدتها عن أراضيها الزراعية في الأحساء خاصة، وسائر البلاد الساحلية، يقول عمرو بن أسوى الليثي، من عبدالقيس، وفي هذا تأكيد على بداوة بكر، وبقائها في الدهناء والصمان، كما يذكر هنا (نطاع) التي جاء محرفة (وقاع):

شَحَطنا إياداً عن (وقاع) فقَلَّصت

وبكراً نفينا عن حِياض المُشقَّر[1]

ويقول الأعشى، مبيّناً عدم تمكن بكر من دخول الأحساء، وتمكنهم من نهب القطيف:

فإن تمنعوا منا المشقَّر والصفا

فإنا وجدنا الخَطّ جَمّاً نخيلها[2]

أما التسمية: (أُوال)، فليست مقرونة ببكر بن وائل، وإن كان الصنم لها، فهناك (أوال) مكان آخر أيضاً، قال عنه الهمداني:

«أوال الحجازية: أيمن من السويداء، فإذا جاء حاجّ مصر من السويداء إلى المدينة، مال إلى أوال، ثم خرجوا منها إلى السيّالة، وبأوال هذه نخل».[3]

وقال البكري:

«كان اسم صنعاء: أوال، في سالف الدهر».

وجاءت مصحفة عند البكري:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص81.

(2) ميمون بن قيس، الأعشى، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين (القاهرة: مط النموذجية، 1950م) ص117.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص274.

(أُزال)[1]

ولم يكن هـذا المكان لبكر بن وائـل، وكثير من المعبـودات الخاصة بقبيلة ما وجـدت في مـكان غير مكان القبيلة التي ينتمي إليهـا؛ فهذا (المحرق) -وهو اسـم لمدينـة المحـرَّق الآن بالبحرين المعاصرة- ليس فيها، وإنمـا بعيد جدّاً عنها، يقول ياقوت:

«المحرّق: صنم بسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعة».[2]

أي: في شمال الجزيرة العربية.

علاقة (سماهيج)- أوال بالنصرانية

سبق أن قال البكري:

«سماهيج: لعبد القيس».

وعبد القيس لم تكن في (سـماهيج)، الجزيرة عند ظهور الإسلام، بل كانت (سماهيج) مركزاً نصرانـيّاً فقط، وكان مركزها ذاك مرموقاً، يـصل إلى درجة التقديس، ودليله ذاك التجمّع الكنسـي المكثّف بها، ففي (سماهيج): (الديـر) و(قـلالي)، وكانـت تنتشـر بها الصوامـع، وتقوم فيها كنيسـة -أو كنائس- وفيهـا مخـازن للمؤن والحبـوب والثمـار، والتمور، وغُرَف لمسـاكن الرهبان... ولابدّ أن الرهبان اعتنوا عناية كبيرة بالحقول والبساتين للترفيه عن أنفسـهم. كما كان يوجد بها مرافق صحية. لقد كانت (سـماهيج) تعج بالحياة الدينية، وهي حياة هادئة، وديعة، منعزلة، تأملية، مسـالمة،[3] بعيدة كل البعـد عـن التجـارة وتشـييد القصـور وإقامة الحصـون والأسـوار، التي

(1) البكري، معجم ما استعجم، (صنعاء).

(2) ياقوت، معجم البلدان، (البحرين).

(3) J. Spencer, Trimingham, Christianty Among the Arabs, (MASHMAHIG) in Pre- Islamic Times (London: William Clows & Sons Ltd., 1979) p. 280.

لا تحتاجها (سماهيج) المحرق أصلاً. واللافت في الأشعار التي ذكرت (سماهيج) أنها لم تذكر شيئاً عن تلك الأجواء الدينية على امتدادها، فلم يذكروا النواقيس، ولا صياح الديكة، ولا الراهب، ولا الكنيسة، بينما لم يغفلوا مثل هذه الأمور في أحاديثهم عن المواضع التي انتشرت النصرانية بها، وهذا أمر يُحيل كل شعر في (سماهيج) إلى (سماهيج) هجر.

ولا يعنينا بعد ذلك أمر (سماهيج) بالمحرق.

***

الشبعان (جبل قارة)

مشكلة شعر ابن أحمر

قال ابن أحمر:

أبا الشبعان بعدك حَرَّ نجد
وأَبطُحَ بطن مكة حيث غارا

وذلك من القصيدة المنسوبة إليه:

ألم تسأل بفاضحة الديارا
متى حَلَّ الجميع بها وسارا[1]

وظاهر القصيدة أنها ليست له، فالأمكنة المذكورة فيها أمكنة مفككة، وهي تشير إلى جهة الدهناء، أي: إلى قائل من تميم. ويُعضِّد هذا الرأي أن ياقوتاً يذكر بعد البيت الأول بيتين آخرين، منسوبين إلى ابن أحمر:

---

(1) عمرو بن أحمر الباهلي، شعر ابن أحمر، تحقيق: حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د - ت) ص ص72 – 78.

أبـا الـشـبـعـان....................

....

سَـلُـوا قـحـطـان أيُّ ابـنـي نِـزار

أتـى قـحـطـان يَـلـتـمـس الجِـوارا

فـخـالَـفـهـم وخـالـف عـن مَـعَـدٍّ

ونـارُ الحـرب تـسـتـعـر استعارا[1]

وهـذه طريقـة في الخطاب لا تسـتقيم مع اللغـة التي يسـتخدمها ابن أحمر. إضافة إلى

مـا جـاء في القصيـدة مـن تهديـد قومـه، ووعيدهم لـه، وهذا مـا لم يقع مع ابن أحمر، وإنما جاء التهديد من غيرهم. فالقصيدة، من ثم، ليسـت لابن أحمر، وإنما لغيره، سماه ياقوت: ابن حمراء. وهذا ما جعل العبودي يقول:

«أبرق فضيحة: أبرق مسـتطيل إلى الشـرق والغرب يقع إلى الغرب الجنوبي مـن مسـكة حوالي 6 كم... في حمى ضرية، غــرب القصيـم... الظاهر أن التسـمية من فاضحة القديم... هو وادي بني سـليم... وابن أحمر هو عمرو بـن أحمر الباهلي، وشعــره في أن يكون في فاضحـة الواقعة في حمى ضرية، على مقربة من ديار باهلة أحرى أن يكون في مكان لبني سليم».[2]

وقـول العبـودي هـذا في تقريـب (فاضحة) مـن (فضيحة) غـير صحيح هو أيضاً، فليست ديار باهلة قريبة من (ضرية) بل بعيدة عنها، والمواضع التي

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبعان).

(2) محمـد بـن ناصـر العبـودي، بلاد القصيـم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ) ج1، ص ص269 – 270. وانظـر، أبـا علـي، هـارون بـن زكريا الهجـري، أبحاث الهجـري، تحقيق: حمـد الجاسـر (الرياض: دار اليمامـة، 1388هـ/1968م) ص ص254 – 255؛ البكـري، معجـم مـا اسـتعجم، (فاضحـة)؛ ج3، ص ص863 – 864 ؛ ياقوت، معجم البلدان، (فاضحة).

يذكرها ابن أحمر كلها تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من عالية نجد حتى حدود نجران، فأين (ضرية) منها؟ وعلينا ألا نكرر القول: إن الشاعر يضع من الأسماء كيفما شاء؛ فالشاعر القديم كان ملتزماً التزاماً تامّاً بما يرتبط به ارتباطاً قلبيّاً ونفسيّاً، إلا أن يكون لمجرد التمثيل والتداول، ومن هنا، فلا علاقة لابن أحمر ببني سُليم.

الشبعان بهجر/ جبل (القارة)

على أن ياقوتاً قال:

«الشبعان: جبل بالبحرين، يتبرد بكهافه».[1]

ويقول آل عبدالقادر:

«هو الجبل المعروف الآن في الأحساء بـ: جبل القارة، وسُمّي الشبعان لكونه في وسط النخيل، قد طوقته النخيل والأنهار من جميع جوانبه وفيه مغارات واسعة مرتفعة باردة في أيام الصيف».[2]

وقال الجاسر:

«لا تزال كلمة الشبعان تطلق على الجبل المعروف باسم القارة تقدر مساحة الجبيل بما يقارب 2 كم طولاً في عرض1كم، وارتفاعه نحو1كم أيضاً. ويقع في الشمال الشرقي من الهفوف على نحو 20 كم. ويُعرف الجبل أيضاً باسم الشبعان».[3]

فإذا نظرنا في البيت المذكور، وكما يصفه ياقوت هنا، على أنه الذي بالبحرين، نجد (الشبعان) فاعل الفعل (أبا)، التي رُسمت خطأ بالألف

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبعان).

(2) آل عبدالقادر، تحفة المستفيد، ص17.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص ص1382 – 1383.

اللينـة، وحقهـا أن ترسـم بالألـف المقصورة، مـن الفعل المضـارع يأبى، كما نجـد: (وأبطـح بطـن مكـة)، معطوفـاً علـى الفاعـل (الشـبعان)، فكلاهما يأتيـان في نسـق واحـد، (وأبطـح مكة) معلومـة؛ وعليه، فالمعطـوف يجب أن يكون في تلك الجهة المعلومة، أي: في مكة، ومن جبالها.

مشكلة (الشبعان) في قول عديّ بن زيد

يقول عديّ بن زيد:

تَـــزَوَّد مـن الـشـبـعـان خـلـفَـك نـظـرةً

فـــإن بـــلاد الجـــوع حـيـث تميم[1]

وهـو بيـت مفرد في شـعره، منقـول عن ياقـوت، وضبط المحقق همـزة (إن) بالفتـح، خلافـاً لما جاء عند ياقوت. وعلى كل حـال، فما علاقة عديّ بن زيد بـ(الشـبعان): في البحريـن، (جبل قارة)، في الأحسـاء؟ فعـديّ لم يأت قط إلى هـذه الأرض حتـى (يتبرد بكهـاف جبله)، سـواء كان (جبل قـارة) هو (الشبعان) أو لم يكن. بل إن تميماً لم تكن تعمر هذه الأرض في ذلك الزمان، في الجاهليـة وكان (الشـبعان) (القارة) لبني محارب من عبد القيـس حتى القـرن الثالـث الهجـري.[2] أما تميـم، ففي غـرب الأحسـاء، في البادية التي كانـت عبد القيـس أيضـاً في ذلـك العصر تحتـل أطرافه. وإضافـة إلى هذا، فهـذه الأرض الموصوفـة في التاريـخ بالخـير والعطاء والخصـب والخضرة، ليست: (بلاد الجوع).

وليكن «الشـبعان: جبل بالبحرين»، فلن يكون إلا جبيلاً بعيداً عن الأحسـاء. ومـع ذلـك، فالبيت لن يصح لعديّ بن زيد، فعديٌّ أكثر ارتباطاً بغرب الحَفَر

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبعان).

(2) انظر، ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، ص1231.

-حفر الباطن- وبنواحي ضرية، وهو محبّ لهما، وغير ناقم عليهما، ولن يقول عنهما مع ذلك،

(بلاد جوع).

وأمر آخر يؤكد أن عديّاً -والمناذرة بشكل عام- لم يكونوا يأتون إلى هذه المنطقة للاستجمام أن الحامية الفارسية في (هجر) كانت لا تتدخل في شؤون البدو، بل كانوا يستنجدون بجيوش المناذرة لكبح أيّ تمرد، وحادثة يوم (الصفقة) شاهدة على هذا.[1] وتثبت كذلك أن تميماً قبيل الإسلام، كانت خارج الأحساء، وإنما تأتي للامتيار فقط.

فإذا لم يصح أن يكون (الشبعان) في قول عديّ بن زيد هو جبل (القارة)، فإنه -بالتالي- لا يصح عليه قوله الآخر:

والدُّهم شُعثُ الذُّرى سوداء تُشْبِهها

مما وَنى من صفا شَبعان جَبّارا[2]

فهذه صفة الجبال العالية الضخمة السوداء، بما يتوافق مع القول المنسوب لا بن أحمر، على أنه بمكة، أي: من جبال الحجاز، وقد كرّر عديٌّ الاسم.

الخلط في النسبة

أوهم ياقوت عندما أدرج (الصفا) في قول امرئ القيس ضمن ما أدرج، فقال:

«الصفا: نهر بالبحرين -(هجر-الأحساء)- يتخلَّج من عين محلم».

---

(1) انظر، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، 1380هـ،1965م) ج1، ص ص620 – 621.

(2) عدي بن زيد العبادي، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد (بغداد: دار الجمهورية، 1965م) ص55.

يقول امرؤ القيس:

فصفا الأطيط فصاحتين فعاسم

تمشي النعام به مع الأرآم[1]

فـ(الأطيط): جبل يأتي إلى جانب (صاحتين): جنوب وادي (الركا)، الواقع شمال هضب الدواسر، و(الصفا): نهر جارٍ تحته، وكلها في منطقة واحدة- تضم (عمايتين)، وليس مثلما قال كذلك:

القارة: قال أبو المنذر: جُبيل بنته العجم بالقُفر والقير، وهو جبل بالبحرين، فيما بين الأطيط و(الشبعاء).

حتى إن ياقوتاً يتشكك في نسبة المثل:

«قد انصف القارة من راماها»

إلى جبل (قارة)؛ لأن ابن الكلبي يقول غير ذلك.[2]

الشبعان / جبل القارة في الأحساء

يقول محققو ديوان ابن مقرب:

«الشبعان: هو الجبل المعروف اليوم بجبل القارة نسبة إلى أكبر القرى المحيطة به، وما زال بعض كبار السن من أهالي القرى المحيطة بهذا الجبل العظيم يعرفونه باسمه القديم الشبعان. وهو غير الجبيل الصغير الذي يقع بالقرب من عين باهلة شرقي الهفوف والمعروف حتى اليوم باسم الشبعان فذلك الجبيل هو المعروف قديماً باسم الشبعاء بالهمزة في آخره وليس النون. والشبعاء هذه ذكرها أبو منذر هشام بن محمد الكلبي وقال: إن جبل

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(2) المصدر السابق، (القارة).

القارة يقع بينها وبين الأطيط. ولكن جبل القارة الذي يعنيه هشام ليس هو أيضاً الجبل المعروف الآن بنفس الاسم والذي يُسمى الشبعان قديماً بل هو جبيل صغير يقع وسط قرية القارة ويسمى الآن

بـ(رأس القارة) والذي كان يقوم عليه حصن المشقر».[1]

وهذا قول يحاول أن يجعل (الصفا) هو (نهر سليس)، و(عين الحارة) هي (عين محلم)، لتقريب النهر بـ(المشقر) إذ ما معنى قولهم:

«الشبعان: هو الجبل المعروف اليوم بجبل القارة. وما زال بعض كبار السن من أهالي القرى المحيطة بهذا الجبل العظيم يعرفونه باسمه القديم الشبعان».

وقولهم أيضاً:

«الشبعان: الجبيل الصغير الذي يقع بالقرب من عين باهلة شرقي الهفوف والمعروف حتى اليوم باسم الشبعان فذلك الجبيل هو المعروف قديماً باسم الشبعاء بالهمزة في آخره وليس النون. والشبعاء هذه ذكرها أبو منذر هشام بن محمد الكلبي فقال: إن جبل قارة يقع بينها وبين الأطيط».

وكذلك قولهم:

(جبل القارة): الذي يعنيه هشام ليس هو أيضاً الجبل المعروف الآن بنفس الاسم والذي يسمى الشبعان قديماً بل هو جبيل صغير يقع وسط قرية القارة يسمى الآن بـ(رأس القارة) والذي كان يقوم عليه حصن المشقر.

لقد جارى هؤلاء المحققون ياقوتاً؛ نتيجة إدراج ياقوت (الصفا) في قول امرئ القيس في رسم (الصفا) في معجمه، فكان لدينا ثلاثة مواضع:

1- (القارة) - (الشبعان)،

(1) ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، حاشية ص1231.

2- (الشبعاء) - (الشبعــان)،

3- (الشبعان) - (رأس القارة).

أما (الشـبعان)، فقد وضح أنه (جبل القارة)، وأما (الشـبعاء)، فهو- كما لاحظ الجاسـر: «كلمة (الشـبعا) لعل صوابها الشبعان».[1] وليس هنـاك داع للاحتيـاط بـ(لعل)، فهـي مصحفة حقيقة. وياقوت يقـدِّم وصفين لـ(قارة) كليهما واحد، فيقول:

1- (القارة: جبيل مستدق، ململوم في السماء، لا يقود في الأرض، كأنه جثوة، وهو عظيم مستدير: جبل بالبحرين).[2]

2- (أبو منذر: القارة جبيل بنته العجم بالقُفر والقير، وهو فيما بين الأطيط والشبعاء، في فلاة من الأرض).

وفي هذه الوصف الثاني يأتي التداخل، وقد تبينا دليله من شعر امرئ القيس الذي جاء منه الوصف، يقول آل عبدالقادر:

«القارة: قرية القارة من القرى القديمة في سفح جبل الشبعان، ويعرف الآن بجبل القارة».[3]

ومـع أن ياقوتـاً صنّـف (أطيـط) في قول امرئ القيـس السـابق علـى أنه في الأحسـاء -وهذا غير صحيح- فإن آل عبدالقادر يقول آخذاً بتقارب الرسـم (أطيط)/ (الشُّطيط):

«الشطيط والشبعان موضعان معروفان الآن بالأحساء».[4]

ومهما يكن، فإن هذا هو الفهم الصحيح والمباشر، فيما يخص (الشبعان)،

---

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1382.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (القارة).

(3) آل عبدالقادر، تحفة المستفيد، ص39.

(4) المرجع نفسه، ص32.

فهناك موضعان باسم (الشبعان) في الأحساء هما: (الشبعان)- (القارة)، وهو ذو الشهرة. و(الشبعان): شرقي الهفوف.

ومن الغريب أن نجد تسميتين مختلفتين لموضع واحد في الأدبيات القديمة، ويبدو أن الاسم القديم الأول كان (الشبعان)، ثم تدرج الأمر إلى أن سُمي (القارة).

عطالة في نجد، وليست في الأحساء، تصحيف (عماية)

والأكثر غرابة أن نجد البكري يقول:

«المُشَقَّر: بالبحرين مدينة عظيمة، قديمة، في وسطها قلعة، على قارة تُسمّى: عَطالة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها: نقصانها».[1]

ويقول ياقوت:

«عَطالة: جبل بالبحرين، منيع، شامخ».[2]

ويرى الجاسر:

(عَطالة): هي الجبل المعروف الآن باسم: القارة.[3]

والوصف الطبيعي لـ(القارة) لا يتوافق مع قول البكري السابق:

«تُسمّى: (عطالة)، وفي أعلاه بئر يثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها: نقصانها».

بل لا يتوافق أيضاً مع كون:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(2) ياقوت، معجم ما استعجم، (عطالة).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1166.

(عَطالة): جبل بالبحرين، منيع، شامخ.

ف(القارة): «وسط النخيل، وقد طوقته النخيل والأنهار من جميع جوانبه... وفيه مغارات واسعة مرتفعة باردة في أيام الصيف». وتقدر مساحة الجبيل بما يقارب 2 كم طولاً في عرض 1 كم، وارتفاعه نحو 1كم أيضاً. حتى إن الأزهري، وهو الأعلم بأرض البحرين، كما هو شائع، قال:

«رأيت بالسُّودَة، من ديارات بني سعد جبلاً مُنيفاً يقال له: عطالة»،[1] مبتعداً بها عن الأحساء، ويبدو أن الأزهري على الرغم من ذلك، إنما ينقل من المصادر نفسها التي ينقل منها غيره، في استشهاده ببيت سويد بن أبي كاهل الآتي، وتأكيده على رؤية ذلك الجبل هناك، وهو مجرد اشتباه....

ويزيد الأمر يقيناً أنهم ربطوا بين سكنى الوعول و(عطالة)، وهذا مستحيل في أرض زراعية مأهولة. أما كونها: (عطالة): بالسودة، فإن الجاسر يقول، وهو ما يشكك في رؤية الأزهري:

«الجبال التي في السودة ليست منيفة أي مرتفعة كارتفاع الجبال العظيمة، بل هي آكام، وجبال صغيرة، وقُور ليست مرتفعة».[2]

إذن، فلنصرف النظر كلية عن البحرين، سودتها وأحسائها، ولنتأمل في قول جرير الذي نُسب قوله إلى (عطالة) بها، يقول:

ولو عَلِقت خيل الزبير حبالُه

لكان كناج في (عَطالة) أعصما[3]

ألا يتفق مع قوله:

---

(1) انظر، الأزهري، التهذيب، ج2، ص167.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1166.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (عطالة). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عطالة).

ولــو أن عُصــم عمـايـتـين ويَــذْبُــل

ســمِـعـا بــذكــرِك أَنــزلا الأوعـــالا؟[1]

بل ألا يتفق مع قول لبيد قبله:

فـحَـدَّر الـعُـصْـم مـن عَـمـايـة لـلسَّـهْـ

ـل وقَـضَّــى بـصـاحـة الأَرَبـــا؟[2]

أليسـت (عطالة) هي (عماية): (الحصاة)، التابعة للقويعية؟ وأليست هي (عماية) أيضاً في قول جرير:

وخِـفْـتُـك حتـى استـنـزلتـني مخـافتـي

وقــد حــال دوني مــن عَـمـايـة نِـيق

وقـد وقـع ياقوت في خطأ في قول جرير هذا عندما قال، أخذاً عن السـكري، شارح ديوان جرير:

«عماية: جبل معروف بالبحرين».[3]

فجعلها تارة (عَطالة)، وتارة أخرى (عماية)، وليسـت هي إلا الثانية فقط. ومن هنا، فإن قول سويد بن كراع الذي رآه الأزهري في (عطالة): بالسودة، هو في (عماية) كذلك، وليس سواها:

خليليّ قوما في (عَطالة) فانظرا

أناراً (تري) من ذي أَبانَين أم برقا[4]

وهو الخطأ نفسه الذي ذكره البكري حين قال:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عماية). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عمايتان).

(2) ابن ربيعة؛ شرح ديوان لبيد، ص30.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (عماية).

(4) المصدر نفسه، (عطالة).

(عَماية): جبل بـ(البحرين)، ضخم؛ ولذلك قيل: أثقل من عَماية.

ويبدو أن العلماء كانوا يتناقلون من مصادر قديمة، فالهمداني يحدد (صفا الأطيط)، في قول امرئ القيس تحديداً صحيحاً، على أنها حذاء (عماية) (الحصاة)[1]، إلا أنه يعود، فيذكرها، مضيفاً إليها مواضع أخرى، ويقول عنها كلها:

«مواضع من أرض البحرين».[2]

بل يأتي، ليقول:

(عَماية) وجواثي و(صاحتان وثعالة وأخرب وصاحة كل) هذه مواضع بالبحرين.[3]

فعلى حين أن (جواثي): من البحرين، فإن بقية المواضع ليست كذلك.

ولقد أدّى ذلك التصحيف إلى التذبذب في التعريف بالمكان، فقال البكري:

«عَطالة: جبل عُمَان».[4]

ونسب قول جرير إليها: «ولو علقت خيل الزبير...». كما رأيناه يقدِّم وصفاً لـ(المشقر) غير متناسب. ومن الواضح أن الصورة لم تكن جَليّة لدى العلماء، فمع ربطهم (المشقر): بهجر، يجعلون كلاًّ منهما في (اليمن)، فيقولون:

«الهجران: المشقر وعطالة: حصنان باليمن».[5]

بل ذهبوا إلى أن:

(1) انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص390.

(3) المصدر نفسه، ص330.

(4) البكري، معجم ما استعجم، (عطالة).

(5) ياقوت، معجم البلدان، (عطالة).

«عَطالة: هضبة مابين اليمامة والبحرين».[1]

ولم يكن ذلك التذبذب إلا جراء التصحيف، فكل الأوصاف السابقة لا تنطبق إلا على (عماية) (الحصاة).[2]

وحيث تبينا هذا، فإن الرسم الآخر الذي ذكره ياقوت: (عُطالة) بضم العين تصحيف أيضاً، فليس هناك إلا الفتح، وليس هناك إلا (عَماية)، فـ(عَطالة) اسم جاء نتيجة التصحيف. وانظر تأكيد الجاسرعلى أن (عَماية) هي (حصاة قحطان).[3]

ولا داعي -بعدُ- لذكر الأشعار في (عماية) (الحصاة)، إذ يكفي ما مرّ من قول جرير، واقترانها بـ(يذبل) (صبحا) في نجد:

ولو أن عُصم عمايتين ويَذْبُل

سمِعا بذكرِكِ أَنزلا الأوعالا؟

وقول أحدهم:

إلى أن خِلتُ أن أبا قُبيسٍ

وهَضب عماية فرَسا رِهان[4]

فهذا هو الوصف الحقيقي لـ(عماية)، ولا (عماية) في الأحساء، وإنما (الشبعان)/ (القارة) فقط.

***

---

(1) المصدر نفسه.

(2) انظر سعد بن عبدالله بن جنيدل، عالية نجد (القاهرة: مط نهضة مصر، 1398هـ/1978م) ج2، ص ص827 – 829. وانظر عن (صاحة)، ج1، ص377 – 386.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص ص1184 – 1185.

(4) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دار المعارف، 1975م) ص377.

عينيــن (عين أم سبعة)

يأتي تحديد (عينين) عند البكري على النحو التالي:

«قرية بالبحرين، كثيرة النخل».[1]

كما قال، المصدر نفسه:

«مكان بِشِقّ البحرين، كثير النخل».[2]

وقال الحازمي:

«ماء من مياه العرب، في ديار عبدالقيس».[3]

أما التحديد المعاصر، فيراه:

«بلـدة عينين: كانت معروفة بهذا الاسـم إلى منتصـف القرن الماضي، حيث عُرفت: الجُبَيل، شمال القطيف».[4]

وهذا القول غير صحيح إطلاقاً، فـ(الجبيل) كانت معروفة بهذا الاسم قبل منتصـف القـرن الماضي، وظلت معروفة به حتـى الآن. وتبيّن القصة التالية حقيقة هذا الموضع، قال ياقوت:

«أمـا يـوم عينــين: بالبحريـن، فكانـت بنـو منقر بـن عبدالله بـن الحارث، خرجـوا ممتاريـن، فعرضـت لهم بنو عبدالقيسـ، فاسـتعانوا بني مجاشـع، فحمَوهم، حتى استنقذوهم».[5]

وقال الهجري:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

(2) المصدر نفسه، (يحموم).

(3) محمـد بـن موسـى الحازمـي، الأماكـن، تحقيق: حمـد الجاسـر (الرياض: دار اليمامـة، 1415هـ) ج2، ص707.

(4) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1245.

(5) ياقوت، معجم البلدان، (عينين).

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خُليد عينين، الشاعر».

واستشهد على ذلك بقول الراجز:

يَتبعن عَوداً قالياً لعينين

راحَ وقد مَلّ[1] ثواء البحرين

وفي هذا الرجز دلالة واضحة على أن (عينين): في شِقّ البحرين، أي: في أطرافها. ثم إن الجبيل ليس كثير النخل، كما وصفوه، بل فيه نخل قليل حاليّاً، وكان قبلاً أرضاً جرداء، لا يوجد بها سوى (بعض الشجيرات البرية)، ولا يمرّ بها سوى البدو الرُّحل الذي يأتون لها طلباً للماء من عيونها القريبة.[2]

وقولهم:

«بِشِقّ البحرين»، يعني أن (عينين) من البحرين، وفي (شِقّ): في طرفها، الملتصق بها، وهذا معنى (شِقّ) في تعبيراتهم. ومسألة لها قيمة هنا، وهي أن عبدالقيس قبل القرن الأول الهجري، عصر خُليد عينين، ومع بدايات الإسلام، كانت قد انزاحت تماماً من أطراف الأحساء الغربية، أي: طرف السُّودة الجنوبية الشرقية حتى (عين دار)، ودخلت إلى حواضر الأحساء: ذكر ياقوت:

«هذه المواضع دون هجر، في بلاد بني سعد، وكانت قبل لعبدالقيس».[3]

وذكر كذلك:

«صُلاصل: ماء لعامر بن جذيمة، من عبدالقيس، في وادٍ يقال له: الجوف،

(1) الهجري، أبحاث الهجري، ص206. وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عينين).

(2) انظر، راشد سالم البوعينين، الجبيل (الجبيل: مطابع الصناعات المساندة، ط1، 1994م) ص14. وانظر، ص26.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الرمانتان).

به نخيل كثيرة ومزارع جمّة».[1]

علـى أن الأمر يتجـاوز ذلك التعميم مرة، والتخصيص مرة أخرى، إلى قول الهجري قبلاً:

«البحرين: بها عين هَجَر».

ولا مكان في المنطقة الشرقية معروف بأنه (هجر) سوى (الأحساء – الآن).

ويأتي دليل آخر، تأكيداً على هذا، في قوله بعده:

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خليد عينين».

فـإذن، (عينين): بهجر، بالأحسـاء، وهي بلد خُليـد عينين، ولا دخل للجبيل بها. على أن الجاسر يعلق على هذا، فيقول:

«وهذا غريب حقّاً».[2]

ومـا الغرابـة في ذلك؟ ألا إن الغرابة لتأتي من تشبُّثـنا نحن بربط (عينين) بـ(البوعينين)، وبالجبيل. أما ما يوثّق كون (عينين): بهجر، حسـب تحديد الهجري، فهو قول جرير يهجو خُليد عينين:

كـم عـمـة لـك يـا خُـلـيـد وخـالـة

خُـضـر نـواجـذُهـا مـن الـكُـرّاث

نَـبَـتـت بمَـنـبِـتـه فـطـابَ لـريـحـهـا

ونَــأت عـن الـقـيـصـوم والجَــثـجـاث

(وإنمـا هجـاه بالكُـرّاث؛ لأن عبدالقيس يسـكنون البحريـن، والكـراث من أطعمتهم).[3]

---

(1) المصدر نفسه، (صلاصل).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1293.

(3) أبـو العباس، محمد بـن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مط عيسى

وهـذا دليـل قاطـع علـى أن بلد خُليـد عينين هي هجر (الأحسـاء)، وليسـت البادية، خارج نطاق الأحسـاء، في ديار عبد القيس الأولى في غربها، أو حتى في شمال السُّودة التي تضم الجبيل، فالمنطقة منطقة زراعية، تنتج البقول، ويعمل أهلها بالزراعة، وهم مسـتقرّون في ديارهم وحقولهم. ويواصل جرير تهجّماته على خُليد، ملصِقاً إياه بالحاضرة، فيقول:

لـقـد عـلـقـت يمـيـنـك قـــرنَ ثـور

ومـــا عـلـقـت يمـيـنـك باللّجام[1]

كما يقول:

أقـــول ولم أمـلـك سـوابـق عـبرة

متـى كـان حُـكمُ الله في كَـرَب النخل

ويدافع خُليد عن نفسه، مثبتاً هذه الصفة فيهم، فيقول:

أعـيَّرتـنـا إن كـانـت الـنـخـل مـالَـنا

وودَّ أبـوك الـكـلـب لـو كـان ذا نخل[2]

كما هجاه الراعي، ناسباً إياه إلى الدعة والسكون، فقال:

أخُـلـيـد إن أبـــاك ضــافَ وسـادَه

هَــمّــان بـاتـا جَـنـبَـةً ودَخــيــلا[3]

البابي الحلبي، د – ت) ج3، ص116.

(1) جريـر، ابـن عطية بن الخطفى، ديوان جرير، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: دار المعارف، 1977م) ج2، ص577.

(2) أبـو عبيـد البكري، سـمط اللآلئ، تحقيـق: عبد العزيز الميمنـي (القاهرة: مط لجنـة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ/1936م) ج2، ص766.

(3) أبـو علـي، إسـماعيل بن القاسـم، الأمالي (القاهرة: مـط الهيئة المصرية العامة للكتـاب، 1957م) ج2، ص259.

ومن هنا قال أحد العبديّين:

ألا حبّذا الأحساء وطِيب هوائها

ورَكّالها غادٍ علينا ورائح[1]

و(الرّكّال) هو (الكراث) نفسه، أو (الرَّكَل) أيضاً في لغة أهل العامّة القدامى بالأحساء. إنها الأحساء، هجر، بلد خُليد عينين التي تنتج تلك البقول. ولقد اتفق الوصف الجغرافي، والوصف الزراعي، والتحديد النّسَبي، على هذا، حتى إن التحديد الزمني يؤيده أيضاً، بل التخصيص المكاني بالأحساء. وإضافة إلى ما ذكره ياقوت عن إزاحة عبدالقيس عن مناطقها في غرب الأحساء منذ العهد الإسلامي، فإن أقدم من ربَط خُليد عينين بالأحساء هو ابن سلاّم (ت 231هـ) في قوله مرتين:

«خُليد عينين، من أهل هجر».[2]

وتلاه بعد ذلك المبرّد (ت285هـ) في استشهاده بهجاء جرير وقول أحد العبديّين سابقاً، وبعدهم الهجري (من رجال أواخر القرن الثالث الهجري)، بعد المبرّد. وأخيراً قول البكري:

«خُليد عينين العبديّ»[3] الهجري.

ثم قوله:

«خُليد عينين، وكان ينزل قرية بالبحرين، يقال لها: عينين».[4]

وهذا إثبات قاطع بنسبة خُليد إلى هجر وحدها، وليس إلى سواها.

---

(1) المبرد، الكامل، ج3، ص116.

(2) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، 1952هـ) ص ص345 – 385.

(3) البكري، سمط اللآلئ، ج1، ص598.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص766.

وبهذا، فلا مجال لأخذ خُليد عينين إلى الجبيل، الأرض الجرداء التي لا تنبت النخل بكثافة، إذ يتطلّب ذاك ماءً دفّاقاً، لا ينقطع، وهو مصداق قول الراعي:

يَحُثّ بهن الحاديان كأنما
يَحثّان جَبّاراً بعينين مُكرَعا[1]

فالنخيل مغمورة أجزاؤه السفلى، مرتَوٍ من المياه الوفيرة التي لا تنقطع (مكرعا)؛ ولهذا، فالنخل ليس كثيفاً فحسب، بل (جَبّاراً)، أي: طويل، سامق شاهق، ضخم... وكل هذه الأوصاف لا تتمتّع بها بعض الشجيرات البرية، كما مرّ في قول راشد البوعينين، إلا إذا تجاوزنا، فجعلنا (بعض الشجيرات البرية): نخلات.

يقول كعب بن زهير:

كأن أظعانهم تُحدى مُقَفِّيَةً
نخلٌ بعينين مُلتَفٌّ مواقير

وبعده:

غُلب الرقاب سقاها جدول سَرِبٌ
أو مَشعَبٌ من أَتِيِّ البحر مَفجور[2]

وهذه صورة نقلها كعب، الذي لم يَرَ (عينين) قطّ من التراث، وكذلك فعل الراعي الذي لم يزر هذه الناحية من البحرين. على ألا نخلط بين (عينين) في شعر كلٍّ من الراعي وكعب -وقد توافقا على صورة تراثية جامعة

(1) الراعي النميري، شعر الراعي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: مط المجمع العلمي العراقي، 1400هـ/1980م) ص221.

(2) كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية، 1369هـ/1950م) ص252.

متداولـة- و(عينـين) في المدينة -نظراً لتشـبيه كعب بن زهـير، فهو مطابق لتشبيه الراعي- والاثنان لا يعنيان تلك التي بالمدينة، فنخل المدينة لا يحمل صفات نخل هجر، ثم إن (عينين) التي بالمدينة:

«أكمة: صغيرة، بارزة، قرب جبل أحد»،[1] فهي جرداء، لا تنبت نخلاً. وواضح من صورة كعب تلك أنه لا يعني إلا (عينين) بهجر، مثناة، كالشائع المتداول، سواء في تشبيه الأظعان بزهائها وأحمالها واكتظاظها بالنخيل المُثقَل حَملاً، والمتقارب مسافة، أو بتفصيل الصورة في غزارة المياه وفيضانها.

وإذا عَدَدنا قول الراجز السابق:

راح وقــد مَــلَّ ثـــواءَ البـحـريـن

علـى أنه يعنـي (هجر) (الأحسـاء-الآن)، ذلك؛ لأنهم كثـيراً ما ربطوا بين (هجر) والبحرين، فهي قصبتها، وإليها تَرِد البادية، وهذا مما يعضّد كون (عينين) هي تلك.

عينين / عين هجر

إذا ما استقرّ الرأي على أن (عينين): بهجر (الأحساء- الآن)، فإن قولهم:

«البحرين: بها عين هَجَر».

وقولهم:

«بِشِقّ البحرين»،

يضعنا أمام حالة واحدة فقط، وهي:

(عـين مُحَلِّم).

---

(1) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز (مكة المكرمة: دار مكة، 1398هـ) ج6، ص202. وانظر، البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

فهـذه التي اشـتهرت بها (هجر)، وارتبط ذكرهـا بالبحرين. وكما تبيّن من قولهـم: «شِـق البحرين»، أي: طرف هجر هنـا من ناحية البرية الغربية، ولا توجد (عين)

في طرف الأحسـاء ذاك يفيض ماؤها، إلا (أم سـبعة)، وهي التي تؤدّي نحو الغرب مباشرة. إن (عين أم سبعة)، تأتي إلى الشمال الغربي من (المبرّز)، ومنها ينتقل المسافر إلى الغرب، وهي -كما في الطبيعة- تقع في طرف هجر، أي: «شِـقّ البحرين»، وهو التعبير المعتاد المتّفِـق مع واقع (عين أم سـبعة). وهذا يضيّق من مجال الخلاف حول تحديد (عين محلِّم) (عين أم سبعة)، إذ إن (عين الحارّة) -مثلاً- تأتي إلى الشمال الغربي من (المبرّز) مجاورة لـه، والمسـافر المتّجه مـن (البطّالية) نحـو الغرب، وتحديداً نحو (الحَـفَر- حفر الباطن)، وهي منطقة بني مجاشـع شـرقاً، سـوف يسـلك طريق (عين أم سـبعة)، وتتبّـع عبد القيس للمتسوّقـين مـن الأحسـاء، في إقبالهـم علـى الصحـراء، هـو حتى تلـك الناحية، تاركـين قرية (المبرز) و(عـين الحارة) علـى شـمالهم، وهـذه أبعد نقطة يمكـن للمطارِدين اللحـاق بأولئك، حتى لا يقعوا في الدهناء.

على أن الإشكال جاء من قول البعيث:

ونـحـن منعنـا يـوم عيـنـين مِـنـقـراً

ولم نَـنـبُ في جَـدود عـن الأصل[1]

وقول الفرزدق:

ونـحـن أجـزنـا يـوم حـزن ضـريـة

ونـحـن منعنـا يـوم عيـنـين مِـنـقـرا

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

وكما تقول القصة السابقة:

«أما يوم عينين: بالبحرين، فكانت بنو منقر بن عبد الله بن الحارث، خرجوا ممتارين، فعرضت لهم بنو عبد القيس، فاستعانوا ببني مجاشع، فحموهم حتى استنقذوهم».[1]

ويعني «خرجوا ممتارين» أنهم استكملوا بضاعتهم من سوق هجر، وسوق هجر المعروفة هي التي تقع في (الأحساء) التي قامت قرية (البطّالية) على أنقاضها. ثم مضوا متّجهين نحو البادية، أي: نحو الدهناء، فالصمان، غرب الأحساء، ويتوقّف المدّ الزراعي عند حدود (العيون) شمالاً غربياً، وحيث يمكن لعبد القيس أن تعترض طريقهم، وهم في ديارهم، وليس خارجها؛ ولكنْ في مسافة تمكنهم من النَّيل منهم؛ ولهذا نصّوا على أن:

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خُليد عينين، الشاعر».

أي: هي الآن: (عين محلم) (عين أم سبعة). غير أن ما جعلنا ننصرف كليةً عن الربط بين (عين محلم) (عين أم سبعة) و(عينين) -أو عن هجر بعامة- هو إلحاحنا الشديد على الجبيل. وأمر آخر له أهميّة هنا، وهو أن القدماء أنفسهم كانوا غير دقيقين في التعريف، فهم جَرَوا على تعريف (عين محلم):

«عين محلم: نهر عظيم بهجر».

ولكنهم في الوقت نفسه كانوا إذا تحدثوا عن (عين هجر)، تحدثوا عنها، وكأنها غير هذه، بينما الواضح أنهم يقصدون الأولى ليس غير. وزاد الأمر لَبساً أنهم ذكروا (عينين) مثنّاة، فرحنا نبحث عن التثنية؛ لأن المفرد هو المتكرّر في قولهم:

---

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص238.

«عين هَجَر: بلد خُليد عينين الشاعر».

على أنها عين واحدة، وليست اثنتين، ممّا يستبعد (عين محلم) (عين أم سبعة).

فلدينا (عين) واحدة، تبدو غير ذات علاقة بالثانية، وهذا صريح في هذا النص، إلا أن البكري نسب خليداً إلى المثناة، فقال:

«خليد عينين، وكان ينزل قرية بالبحرين، يقال لها: عينين».

وهذا يجعل الإضافة لمكان اسمه (عينين). ولِحَلّ هذه الإشكال الذي لا يعنينا كثيراً بعد أن تأكدنا من (عين هَجَر): (بلد خُليد عينين) (عين أم سبعة) هو أن الإضافة جاءت من تثنية الاسم، وهذا كثير في أشعارهم يثنّون المفرد، وهم لا يريدون به إلا الواحد، بحيث يضطرنا إلى استبعاد (عين هجر) / (عين محلم) (عين أم سبعة) فقط. ويزداد الأمر غموضاً باستشهادهم بقول الراجز السابق:

يتبعن عوداً قالياً لعينين

راح وقد مَلّ ثواء البحرين

غير أن الهجري نفسه هو الذي ذكر توّاً:

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خُليد عينين، الشاعر».

أي: أن (عين هجر)، (عين محلم) -كما نرى الآن- هي (عين أم سبعة). أما التثنية، فإلى جانب إرادتهم المعروفة بالاثنين واحداً، فإن العين الأخرى هي (عين الحارة)، وهم أطلقوا مسمى (عينين) لتقارب العينين، غير المتباعدتين، وكانت شهرة (عين هجر) هي الماثلة، فذكروها مفردة، على حين غابت عن الذكر (عين الحارة). ومع ذلك، فإن الحلّ الحاسم لكون (عين هجر) هي (عين محلم) (عين أم سبعة) هو رسم الطريق من

(البطالية)، حيث سوق هجر إلى الدهناء فالصمَّان، وهي الطريق المؤديّة مباشرة نحو الدهناء والصمّان، وحيث منازل بني مِنقَر. وليست (عين الحارّة) في طريق يسيرة. لقد نصّ نصر الإسكندري على أن:

«العين: بهجر، وهي عين محلم»[1]

يقطع الطريق كلية على أي تفسير يفرِّق بين (عين هجر) و(عين محلم).

ومشكلة أخرى يثيرها قول البكري الأول:

«خُليد عينين، وكان ينزل قرية بالبحرين يقال لها: عينين».

فهنا (قرية بالبحرين يقال لها: عينين)، مع أننا صادفنا الحديث عن (عين هجر)، فالآن لدينا (قرية)، ويبدو الإشكال محلولاً حين نضع في حسابنا أن كل عين حذاءها قرية، أو في وسط قرية، و(عين أم سبعة) تضم نخيلاً شرقها وجنوبها، وهي التي اتخذت مسمى (عينين)، أما شماليّها وشماليها الجنوبي، فمحاط بالرمال.

لقد بحث المعاصرون عن مسمى لـ(عينين) في (هجر)، فلم يجدوه، وعرفوه موجوداً إلى وقت قريب في الجبيل، فظنّوه هو، ولم يحاول أحد أن يبحث عنه في هجر؛ والسبب -كما اتّضح- هو عدم تعيين تلك العين، والسبب الآخر هو التثنية، فمدلول قرية.

لقد ارتبطت البحرين بالعين، وارتبطت قصبتها هجر بها، فكانت الإشارة دوماً إليها، فهي:

«نهر عظيم، عين فوّارة، لها مجار واسعة».[2]

---

(1) نقلاً عن الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1209. وهو مما سقط من تحقيق الجاسر لكتاب الإسكندري، الأمكنة والمياه، ص283.

(2) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي (القاهرة: مط الاستقامة، 1366هـ/1947م) ص278.

و(عين هجر) أيضاً:

«عين يفيض ماؤها، فـــيسقي أرض الناس».

وربما كان ترجيح كون (عين الحارّة) مبعثه قول الأزهري:

«عـين محلـم: تسـقي نخيـل جواثى وعسـلَّج، وقُرَيّـات من قرى هجـر»[1] على أساس أن (عين أم سبعة) في الشمال، وهي متطرّفة في (شِـقّ البحرين)، مع ملاحظة هذه الصفة، متطرفة.

(الصفا) (عين الحارّة)

يـرى الجاسـر أن (عـين محلـم) هـي (عين هجـر)[2] المذكـورة هاهنـا، أما شباط، فيرى أن (عين محلم) هي (عين الحارة)[3]. وإذن، فهي بلدة خُليد عينـين، ولكـن هذا يُلغي كون (عـين الحارّة) هي (عين محلـم)؛ لأن صفات (عين محلم) تنطبق على (عين أم سبعة). ويرى الرأي نفسه محققو ديوان ابن مقرب على أساس ما جاء في ديوان ابن مقرب من الظرفية في:

«بين النهرين محلم وسليسل».[4]

وعلـى مـا ذكـره الأزهري مـن سـقيا (جواثى) و(عسـلّج)، واسـتحالة ذلك بالنسبة لـ(عين أم سبعة).

فإذا وضعنا في الحسبان أن الحديث ليس عن (عين)، وإنما الحديث عن: «نهر عظيم، ذو خُـلُج كثيرة تتخلّـج منها»، أي: أن هذا النهر المتدفِّق تنحدر

(1) أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1976م) ج5، ص108.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1209.

(3) عبدالله بن أحمد شباط، صفحات من تاريخ الأحساء (الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1409هـ/1989م) ص ص49، 53.

(4) ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، ص968.

بعض مياهـه نحـو القـرى في الجنـوب الشـرقي من مجـرى النهر الأسـاس بصـورة مـن الصـور نحـن لا نعلمها حـقّ العلم اليـوم لتغيّر التضاريس، ولا ينطبق القول:

«نهـر عظيم، كأنه نهر بَلْخ»[1]، لاتسـاعه وضخامتـه وامتداده، إلا على (عين أم سـبعة)؛ لأن (عين الحارّة) تنقطع في بحيرة (الأصفر)، بينما (عين أم سـبعة) هي التي يمكن أن تجري نهراً حتى الشـرق، يصب في البحر. و(عين الحارّة) ليسـت في الطرف القصيّ من الأحسـاء، وإنما بـمحاذاتها. أو لعل تعميمـاً جـرى في ذلـك مـن قبـل الأزهـري؛ لأن المنطقـة كلها كانـت مغمورة بالميـاه. والواقـع أن محققي ديوان ابن مقرب أنفسـهم حائرين في التحديد، فلقد واجهوا الظرفية بشـيء من الافتراض حين ذهبوا إلى (عين الحارّة)، مسـتبعدين (عـين الخـدود) و(عين الحقـل) اللتين ينبع منهما (سليسـل)، وكان الأولى افتراض ذلك، لا الذهاب إلى (عين الحارّة) لمجرد أنها تقع في مسـتواهما الأفقي، مع ما بينهما من تباعد. وإذا جاز ذلك الافتراض، فإنه مـن الجائـز أيضـاً أن تكون (عين أم سـبعة) هـي (عين محلـم)، حتى إن آل عبدالقادر يسـتبعد أن تكون أي عين من العيون الموجودة الآن بالأحسـاء هـي التي تسقي (جواثى) و(عسلّج)، وهو ما يفتح الباب لوجهة النظر المطروحة هنا من كون (الصفا) هو (عين الحارّة).[2]

نهـر (الصـــفا) (عين الحارة)

وصف ياقوت (الصفا) بأنه:

«نهر بالبحرين، تخلّج من عين محلم».[3]

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص306. وانظر، ص281.

(2) انظر، آل عبدالقادر، تحفة المستفيد، ج1، ص52.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

ويـرى ابـن بليهـد أن (الصفـا) هـو (المـبرَّز).[1] كمـا أن الجاسـر لا يوافـق العبدالقادر في رأيه بأن:

«الصفـا: قطعـة مـن الأرض بـين مدينـة الهفـوف ومدينـة المـبرز، تسـمى: الصّفَيّا».

ويقول:

«مـا أرى الصفيـا تنطبـق عليها أوصـاف الصفا، فهي مـكان مرتفع، ولا أثر لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين أم سبعة، نهر محلم».[2]

أما محققو ديوان ابن مقرب، فيرون:

«الصفا: جبل صغير يقابل جبيل رأس قارة من الشمال الشرقي منه بمسافة 700م تقريبـاً، ويدعى اليوم باسـم جبـل أبو الحصيص الواقع للشـمال من قريـة التويشـير الملاصقة لقريـة القارة وجبيل أبـو الحصيص هذا هو -بلا شك- التلّ أو الجبيل الذي كان يقوم عليه، وفيه حصن الصفا».[3]

وهكـذا، فعـل الجاسـر، إلا أنه احتاط بالجمـع بين الحصن والنهـر، وإن لم يحدده، فقال:

«حصن الصفا، أو نهر الصفا».[4]

أما منٍ أين جاء تعريف (الصفا) (النهر) بأنه (جبل)، فالمصادر لا تذكر هذا إطلاقا، فيما يختص بـ(هجر)، وإنما تحديد القدماء واضح بأنه: «نهر: يتخلج مـن عـين محلـم». فـإذا كانت (عين محلـم) هـيٍ (عين الحـارة) الواقعة شـمال غربـي (المـبرز)، فـإن (الصفـا)، الواقع جنوبـاً منهـا، وبعيداً عنهـا، لا ينطبق

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج3، ص279.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص972.

(3) ابن المقرب، ديوان ابن مقرب، حاشية ج1، ص ص531 – 532.

(4) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1631.

على (الصفا) (النهر)، كما يؤكدون. والجاسر نفسه استبعد كون: (الصفيا) تنطبق عليها أوصاف (الصفا)، فهي مكان مرتفع، ولا أثر لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين أم سبعة، (نهر محلم)، ولو ذهب إلى ما ذهبنا إليه هنا من قرب (عين الحارة) من (عين أم سبعة)، على أساس أنها (عين الصفا)، لبدا ذلك مقبولاً إلى حدّ ما.

وحيث رأينا الأوصاف تنطبق كلها على (عين أم سبعة) على أنها (عين محلم)، فإن العين الأخرى القريبة منها هي (عين الحارة)، وهي التي لها الشهرة كشهرة (عين محلم)، ومهما كانت حقيقة «تخلج منها»، فإنه يبدو أن ما في ذهن القدماء هو هذه.

وبهذا يترجّح رأي ابن بليهد، إلا أنه ليس (المبرّز)، وإنما هو (عين الحارة).

وعلى العموم، فإن قول ياقوت: «الصفا: عين تخلج من محلم»، يلغي أية صلة لـ(جبل قارة) بـ(عين الحارة).

أما كون (الصفا) نهراً، فرعاً من نهر أكبر، حسبما وصف ياقوت، وليس جبلاً، فهو قول لبيد:

بين الصفا وخليج العين ساكنة

غُلبٌ سواجدُ لم يَدخُل بها الحَصَر[1]

فهنا (العين) (عين محلم)، كما اتّضح هذا. وكانت بينهما مزارع كثيفة في ذلك الزمان، وهنا كان الجمع بين (عين أم سبعة) و(عين الحارة) (عين محلم والصفا)، كما قال لبيد أيضاً:

سُحق يمتّعها الصفا وسَرِيُّه

عُمٌّ نواعمُ بينهن كُروم[2]

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(2) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص60.

وقال كذلك:

فـرحـن كـأن الـنـاديـات مـن الـصـفـا

مـزارعـهـا والـكـارعـات الحوامل[1]

وكذلك قول امرئ القيس:

أو المكـرعـات مـن نـخـيـل ابـن يـامـن

دويـن الـصـفـا اللائـي يـلـين المشقّرا[2]

على أساس أن (الصفا) (نهر) (عين الحارة)، وأن هذه النخيل مما يلي (عين أم سبعة) (عين محلم)، ولاسيما أن هذه المنطقة الموصوفة بهذا النوع من النخيل كفيلة بأن تغطي مساحة تجمع بين (المبرز) و(القرين) غرب (عين أم سبعة)، التي يأتي جزء منها (نخيل ابن يامن). ومن ثم، يكون لدينا نهران يبدوان متفرعين الواحد عن الآخر، في عهود قديمة كانت الأحساء غارقة بالمياه!

حصن الصفا (فوق جبل وريقة)

أما (الصفا) المذكور في هجر سوى (العين)، فهو الذي جاء في قول ياقوت:

«والصفا: حصن بـ... هجر».[3]

وهذا (حصن) حقيقة، واستعمل ياقوت حرف العطف (الواو)، لتمييزه عن (النهر). وهم كثيراً ما أشاروا إلى (محلم) بأنه (العين)، كما في قول لبيد السابق:

«بين الصفا وخليج العين» -ولاحظ الظرفية- ولبيد وصف (الصفا) بأنه

---

(1) المصدر نفسه، ص242.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (المشقر).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(نهر)، قوله السابق: «يمتِّعها الصفا وسريّه».

وتجنّباً لذكر كثير من الأشعار التي تقرن (المشقَّر) بـ(الصفا)، فإنه يكفي قول جرير:

تركتم بوادي رحرحان نساءكم

ويوم الصفا لاقيتم الشِّعب أوعَرا

الذي يجعله الجاسر هذا الذي بالأحساء،[1] كما ذكره ياقوت، وكما أكده ابن بليهد.

وهذا ليس بصحيح مطلقاً، ويكفي أن يقول جرير (الشِّعب)، ليعني (يوم جبلة) بنجد، وهو ما يثبته قوله قبله:

والشعب ذا الصفا.....

المشقَّر / (المبرَّز)

حدّد القدماء (المشقر) على النحو التالي، كما عند البكري:

«المشقر: قصر بالبحرين؛ مدينة عظيمة قديمة في وسطها قلعة، على قارة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلَّب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلُّبها: نُقصانها».[2]

وهو عند ياقوت:

«المشقر: حصن بالبحرين يلي حصناً آخر يقال له: الصفا قِبَل مدينة هَجَر، وبين الصفا والمشقر: نهر يجري يقال له: العين».[3]

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص972. وانظر، ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص58. وانظر ما سيأتي من ذكر (الصفا) الذي ظنه أبو الخير أنه في (الصفا) بالحرم.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (المشقر).

وحـدّده المعاصـرون بإجمـاع علـى أنـه، كما يرى الجاسـر جبل (القـارة).[1]
وبهـذا يتفـق المعاصـرون كلهم على وسـط الأحسـاء. أما الجاسـر، فكان قد حدّد (محلم) على أنها (عين أم سبعة)، وهذه تقع جنوب قرية (القرين)، أمـا محققـو ديـوان ابن مقرب، فيرونهـا (عين الحارة)، والسـؤال هو: كيف تكون الظرفية (بين)، فتجمع (القارة) و(عين أم سبعة)، أو (عين الحارة) و(القـارة)؟ فنحن أمـام عدم اتفاق في التحديد، وهذا مشـكل. فإذا أخذنا بأقوال القدماء، حسبما نقل ياقوت:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

سواء كان هذا هو (عين أم سبعة)، أو (عين الحارّة)، حسب وجهات النظر، فإن (الصفا) هنا ليس عيناً، وإنما حصن، وباستخدام الحجة نفسها التي قدّمها محققو ديوان

ابن مقرب، في كون (بين) تعني الامتداد نفسه، فإن (الصفا) الذي حدّدوه بـ(جبل التويشير) لا يقع في موازاة (عين الحارة) (عين محلم)، كما يرون. أما الجاسر، فأغفل ذلك تماماً.

على أن ياقوتاً ذكر:

«الصفا: قصبة هجـر».[2]

وابن بليهد يراه:

«الصفا: قصبة المبرز».[3]

وهـذا يقرّبنـا كثيراً إلى (عـين الحارة)، القريبة من (المـبرز)، بحيث تكون

(1) الجاسـر، المنطقة الشـرقية، ج4، ص1383. وانظر، ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، حاشـية ج1، ص272، 531، ج2، ص1623.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(3) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص58.

(عين الحارة) هي نهر (الصفا)، أما (المشقر)، فإن قولهم:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

ينقلنا إلى (العين) / (عين هجر) / (عين محلم): (عين أم سبعة)، ويكون (الصفا) المذكور في قول ياقوت هو الحصن، وبالقرب من (المبرز) جبلان هما: جبل (وريقة) وجبل (الشعبة)، فجبل (الشعبة) يقوم عليه الحصن، وعلى جبل (الوريقة) يقوم (المشقر)، وبينهما تجري (العين) التي تشير دوماً إلى (عين محلم) (عين أم سبعة)، فاسم (المشقر) اندثر، وهو أخيراً الذي حلّ اسم (المبرّز) محله، ولقد تحرّف (المشقَّر) إلى (المبرّز)، كما تحرفت أسماء عدّة في المنطقة نفسها، وفي غيرها. ومع أن ابن مقرب ذكر (المشقر) و(الصفا)، في قوله:

وما ضرني مع قربه أن منزلي

وقومي بأكناف المشقر والصفا

فإن ابن مقرب يذكره ترديداً، لا عياناً، وكذلك ما ذكره شارح ديوانه؛ ذلك أنه -كما حقق الجاسر-[1] انقطعت عنا أخبار (محلم) بعد القرن الأول الهجري، حتى إن الأزهري - كما يقول- ينقل تعريفاته عن غيره.

لقد واجه الجميع معضلة (نهر الصفا)، ولجؤوا إلى الحصن، بدلاً من النهر، فألغوا النهر إلغاءً؛ لأنه يتعارض مع نتائجهم، وحين الربط بين (عين الحارة) (نهر الصفا)، و(العين)- (عين محلّم)، نجد الأوضاع كلها تتسق في نطاق واحد على ذلك النحو السابق، واضعين نُصب أعيننا أن الاعتماد كان على شرح ديوان ابن مقرب الذي ذكر (محلم) حدساً، وليس يقيناً. أما (الصفا) (جبل أبو الحصيص، شمال قرية التويشير)، فليس واقعاً

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1638.

بين (عين الحارة) و(نهر سليسل). وكذلك، فإن جبل (القارة) له تعريفه الخاص في المعاجم، بحيث لا يكون هو (المشقر)، ولا يتوافق مع:

«على قارة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلَّب إلى هذه البئر...».

وإنما يتوافق مع:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

فـ (العين): هي (عين أم سبعة)، و(الصفا): نهر هو (عين الحارة)، و(المشقر): حصن فوق جبل (بريقة)، و(الصفا): حصن فوق جبل (الشعبة)، وشارح ديوان ابن مقرب كان بعيداً عن واقع المكان، فزجّ بـ(محلم) زجّاً، بينما لا أحد يعلمه في عصره، حتى الشاعر نفسه.

البوعينيّون

قال سليمان الدخيل، فيما يخص (عينين)، كما نقل محمد بن عبدالله القشعمي:

«سمّيت بلدة البوعينين بهذا الاسم؛ لأن أول من احتلّ تلك الأرض رجل من العرب كان يُعرف بالبوعينين، سنة 1200هـ/1785م، من قبائل العجمان التي تسكن قطر. وعسى أني لم أخطئ في ما ذكرته، والله أعلم».

وعلّق القشعمي على هذا بقوله:

«قال أبو عبدالرحمن: هو لم يخطئ، ولكنه أكثر الكذب، وهذا النصّ كله من أوله إلى آخره خيالات من خيالات الدخيل -رحمه الله- منزوع الفائدة، قليل الجدوى».[1]

(1) محمد بن عبد الله القشعمي، مجلة الحرس الوطني (ع232، س23، رجب1422هـ، أكتوبر، 2001م) ص264.

فهل يستحق الدخيل -وقد احتاط ذلك الاحتياط الأخير- أن يتهجّم عليه أبو عبدالرحمن ذلك التهجّم؟ وما الحق في نظر الظاهري؟ هل الحق ما نقله أبوعبدالرحمن عن الجاسر:

«هذه البلدة معروفة بعينين، وهي بلد خليد عينين، وقد سمّيت أخيراً بالجبيل».[1]

كان الجاسر في كثير من مواضع كتابه، شمال المملكة، يلمز الدخيل لمزاً، مع أن كثيراً من المواضع التي يذكرها، في منطقة حائل، مصدرها الدخيل نفسه. وجاء أبو عبدالرحمن، ليكيل الصاع صاعين في مسألة لم يكن الرأي قد استقرّ عليها بعدُ؟ فهل يعلم أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري أن (عينين) كانت كما ذكر الدخيل حقّاً؟ وأن الدخيل لم يكن يكذب في حديثه عنها؟

ويرى الجاسر:

«بلدة عينين: كانت معروفة بهذا الاسم إلى منتصف القرن الماضي، حيث عُرفت باسم: الجُبيل، شمال القطيف، ومن أشهر الأسر التي عرفت من أهل هذه البلدة بالثراء والفضل آل بوعينين، تنتمي إلى بني تميم».[2]

وهذا القول غير صحيح في أغلبه، فـ(الجبيل)- وبحسب اعتراف البوعينين أنفسهم:

«قبل قرن من الزمان تقريباً، وبالتحديد قبل عام 1327هـ /1910م كانت منطقة الجبيل منطقة ساحلية خالية من السكان، حيث لا يوجد على أرضها سوى بعض الشجيرات البرية، ولا يمر بها سوى البدو الرحل الذين يأتون

---

(1) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: دار الأصالة، ط1، 1413هـ1993م) ص264.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1245.

لها طلباً للماء من عيونها القريبة».[1]

ولأن جماعة من العرب معروفة باسم (البوعينين) سكنوا الجُبيل، أي: آل بوعينين، ذهب المعاصرون إلى أن هذا الاسم هو اسم البلدة قديماً، ولم يستوطن البوعينيون الجبيل إلا في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أي: أوائل القرن العشرين، وصاحب وجودهم بعد ذلك ازدهار ميناء الجبيل في بداية الحكم السعودي.

وليكن الدخيل (يكذب) في هذه المسألة، فهل كان ابن بليهد أصدق منه، حينما نقل مثلما نقل الدخيل، فقال:

«وقد حُدِّثتُ حديثاً من عينين أن عينين التي على ساحل الخليج غير عينين المشهورة في المعاجم، والذي حدّثني عنها أن هذا الموضع سُمّي باسم الذين بعثوه، وهم قوم نزحوا من منامة البحرين، يقال لهم: آل أبوعينين، فُسمِّي هذا الموضع باسمهم.

وقد قال شاعر من شعراء النبط، وهو صالح السِّكنيّ:

وراني ما غَرِّب واركب الغوص للبحرين

وخَلِّي ديار الفقر يلعب بها الجن

وأعاين مديد حدّدوا لم أبوعينين

وتقطع علوم الدار وأخبارها عن

فقلت للذي حدثني: إن صحَ أن الذين بعثوها يقال: أبوعينين، قبل نزولهم فيها، فالصواب معك، وإن كانوا لم يظفروا به إلا بعد نزولهم بها، فهذه حُجّة عليك، لا لك، فقال: إن أهل المعاجم إذا ذكروا موضعاً، وهو على ساحل البحر، ذكروه، وذكروا البحر الذي هو ساحله. وذكر ياقوت والبكري الموضع

---

(1) البوعينين، الجبيل، ص14. وانظر، ص26.

الذي منه خليد عينين، فيه نخيل، وهذا الموضع ليس به نخيل، وعينين تُعـدّ مـن قـرى البحرين، وهي عنـد أهل نجد يُطلق عليها اسـمان: الأول: عينين، والثاني: الجبيل».[1]

ويُقِرّ البوعينيون بهذا، فيقول راشد البوعينين:

«تمّ النـزوح إلى الجبيل على دفعتين، الأولى عام 1327هـ، أما نـزوح الدفعة الثانية، فقد تمّت في أواخر عام 1340هـ».[2]

فالدخيل وابن بليهد متّـفقان على النـقل، وهما متفقان على أن البوعينيين نزلوا (الجبيل) متأخراً. وحسب ما نقل ابن بليهد:

«هذا الموضع سُمّي باسم الذين بعثوه، وهم قوم نـزحوا من منامة البحرين، يقال لهم: آل أبوعينين».

فإن نسـبة البوعينين إلى (الجبيل) نسـبة حديثة، والبوعينيون معروفون في بلـدان الخليج، فقد مرّ أنهـم بقطر والبحرين، قبل أن يكونوا في (الجبيل). وقـد عدّهـم الدخيـل مـن العجمـان، بينمـا جعلهم الجاسـر من بنـي تميم. وهـم جماعـة عربيـة، عريقـة في منطقة الخليج، ولاسـيما قطـر والبحرين، والجبيل، ولكنهم البوعينيين جماعة، وليسوا البوعينيين مكاناً. وحتى راشد البوعينيـين لا يعلـم صلة جماعته بأيٍّ من القبيلتين، فهو يورد قول محمد بن راشد آل بوعينين:

بـنـو دارم ذروة تمـيـم وتـنـتـمـي

لـفـرع الـنـدى مـوري سـناها ضيوفها

ويعلّق عليه:

---

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج4، ص234.

(2) البوعينين، الجبيل، ص ص15، 17.

«وهـذه الأبيـات توضّـح أن (عينـين) هـي الموطـن القـديم لهـذه القبيلة قبل رحيلهـم عنهـا إلى قطـر، وعودتهم إليها مـرة أخرى، كما يتضح أن مسـمى هذه القبيلة اقترن مع موطنهم (عينين) منذ القدم».[1]

إلا أنه يقول:

«ويُـنسب إلى عينين الشـاعر الأمـوي خليد عينين، من عبدالقيس، من ولد عبدالله بن دارم بن مالك».[2]

فخليـد مـن عبدالقيس، وليس مـن تميـم، وإن تشـابهت الجدود في الاسـم (دارم)، يشير راشد إلى قول لوريمر:

«آل بوعينين: فرع من فخذ صبيح، من قبيلة بني خالد المقيمين في قطر، في الوكرة، وفي البحرين، في المحرق».

ويعلّق راشد على هذا القول، فيقول:

«كانت تربطهم ببني خالد علاقة حلف ومصاهرة فقط».[3]

وبالتأكيـد، فلـم تكـن أية جماعة تسـتطيع السـكنى في المنطقـة البرية، دون حماية، لولا أنهم احتاطوا -مع عزّتهم ومنعتهم الذاتية- بإقامة الأسـوار.[4] وليس لأن البوعينيـين عـادوا إلى موطنهـم الأصلـي، وهذا مـا لم يحدث في التاريخ إطلاقاً، بعد تلك القرون الطوال الماضية، من القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

لقد كان اختيار (الجبيل) صدفة، ولم يكن مقصوداً، يقول راشد البوعينيين: «أشـار عبدالله بن عبدالرحمن المسـحل آل بوعينين إلى وجود موقع مناسب

(1) المرجع السابق، ص19.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص20.

(4) المرجع نفسه، ص16.

كان يتّخذه (بندراً) أي: مرسى للسفن في رحلات الغوص التي كان يقوم بها بالقرب من ساحل الجبيل».[1]

إذن، فكما يقول راشد:

«الجبيل: اسم حديث لم تكن تعرف به هذه المنطقة من قبل، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الجبل البحري الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية من الجبيل».[2]

أما اسمها القديم، فلا علاقة له بخليد عينين، وليس له علاقة بقريته، وليس في الجبيل إلا عين واحدة معروفة هي (عين طوية)، مما لا يساعد أبداً على تمثيل ذلك الوصف للنخيل، كما هو في الشعر، الأمر الذي يعني أن (عينين) في منطقة وفيرة المياه، متدفّقة دون انقطاع، تغمر مساحات شاسعة من الأرض، وذات نخل كثير، غير بعيد عن هجر (الأحساء)، وهي بلاد خليد عينين.

يقول مبارك بن علي العيوني آل بوعينين:

لاقفن كما جول القطا فر طاير

من قصر عينين أُومي على خير[3]

فالآن هنا (قصر عينين)، وهو قصر أقامه البوعينيون أنفسهم، فنسبته لهم. ويدلّ قول مبارك هذا على أن الاسم (الجبيل) لم يكن معروفاً بعد، وأن (عينين) هو الاسم السابق عليه نسبةً إلى هؤلاء القادمين الجدد، وليس لأن الاسم قديم أبداً، بل إن الاسم لا علاقة له حتى بوجود عينين بها، وهما اللتان يذكرهما راشد:

(1) المرجع السابق، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3) المرجع نفسه، ص76.

«عين العبدالله، وعين العيد، وتقعان على بعد ثلاثة أميال من الجنوب الغربي للجبيل»،[1] ولم يكن الموضع معروفاً بهما، وإنما جاءت، كما صرّح بذلك الدخيل وابن بليهد من نسبة الموضع إلى البوعينين.

وعند هذا الحد، فهل كان سليمان الدخيل (يكذب)، فيما يخص (عينين)، أم هو من الصادقين؟ أما تحديد الدخيل لزمن نزوح البوعينيين، فالدخيل -كما نقل أبو عقيل- ينقل من الأخبار.[2] ولهذا، فصحيح أن البوعينين لم يأتوا إلى الجبيل -كما حدده راشد- مع مطلع القرن العشرين، ولم يسبق لهم وجود قبل ذلك. وكان سبب نزوحهم لأوضاع خاصّة بقطر. وقد بيّن الدخيل سبب تسمية (البوعينين) التي لا دخل لها بـ(عينين) المكان.[3]

وسواءً أكانت (عين هجر) / (عين محلم) / (عينين): هي (عين أم سبعة)، كما هو مطروح هنا، أم كانت (عين الحارّة)، كما يتصوّر محققو ديوان ابن مقرب، فإننا الآن في الأحساء، وتحديداً في الجزء الشمالي الغربي منها، بعيداً جدّاً عن (الجبيل).

ويبدو -أخيراً- أن لا صلة لـ(البوعينين) حتى بخليد عينين، وفقاً للمكان، وإنما تعود التسمية إلى شؤون أخرى، ذكرها الدخيل، وأشار إليها ابن بليهد، وذكر راشد البوعينين أن نزوح البوعينين إلى (الجبيل) حديث، وأن اسمهم كان أسبق من ذلك، وهم إن لم يكونوا من (العجمان)، أو من (بني خالد)، أو من بادية تميم، فليس لهم علاقة بعبدالقيس حاضرة الأحساء، وتحديداً بخليد عينين من عبدالقيس، أو خالد عينين الذي صغّره جرير سخرية.[4]

---

(1) المرجع نفسه، ص23.

(2) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص261.

(3) المرجع نفسه.

(4) انظر، المبرد، الكامل، ج3، ص116. الجاسر، خليد عينين، العرب، س17 (القعدة - الحجة، 1420هـ - سبتمبر - أكتوبر، 1982م) ص ص333 – 339.

العين (عَين مُحَلِّم)

يأتي تحديد (محلم) على النحو التالي، ذكر الهمداني:

«نهر محلم: بهجر؛ ومحلم: نهر عظيم».[1]

وذكر ياقوت:

«عين محلم: عين فوّارة، بالبحرين... ولهذه العين -إذا خرجت في نهرها- خلُج كثيرة تتخلج منها، تسقي نخيل جواثاء وقُريّات من قرى هجر».[2]

وقال الجاسر:

«هو ما يعرف الآن باسم: أم سبعة، أقوى عيون الأحساء».[3]

وفي ضوء هذه التعريفات، ولاسيما تحديد الجاسر -الموافق لتحديد ياقوت- فإن قول العبيد:

«الحارة: تتفرع إلى نَهْرَي الشمال ومغيصيب، ثم يتفرّع نهر الشمال إلى خمسة أنهر، ويتفرّع مغيصيب إلى سبعة أنهر».[4]

لا ينطبق على (محلم).

الخلط بين (محلّم) و(مَلْهَم)

ذكر البكري أيضاً:

«قال الخليل: (محلم): نهر باليمامة».[5]

---

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص306. وانظر، ص281.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (عين محلم).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1767. وانظر، ص ص1581- 1586. ج3، ص1214.

(4) عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط1، 1413هـ/ 1993م) ج1، ص273.

(5) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

وما هذا إلا سهو من البكري، فنهر اليمامة هو (ملْهم)، فتصحّف. ذلك أن ياقوتاً يقول:

«قال صاحب العين: محلم، نهر البحرين».[1]

وصاحب العين هو الخليل نفسه. والذي يبدو أن البكري استقى مادته من مصدر غير الذي رجع إليه ياقوت، ووقع في الأول اضطراب، إذ لا يكون الرأيان منسوبين للخليل، وإنما هما رأي واحد، على أن (محلم: بهجر البحرين). واستشهد اللسان على أنه باليمامة، بقول الفرزدق خطأ كذلك، ونسَبه إلى مجهول، وروايته (دنا) هي الصحيحة:

....

فسيل دنا جَبّاره من محلم[2]

جاء في ديوان الفرزدق:

فراحا بجُرجور كأن إفالها

فسيلٌ (دما) قنوانه من محلّم[3]

وأغرب شيء أن يتوافق ناشرو ديوان الفرزدق على هذا التصحيف!

رأينا أن القدماء وصفوا (محلم) بأنه (نهر)، ووصفوه أيضاً بأنه (عين)، والجاسر يجعله عين أم سبعة، والعبيد يجعله ذا أنهر. وكلا القولين صحيح، فإذا أخذنا بالرأي الراجح، وهو أن (محلم): عين أم سبعة، التي كانت تفيض -وحتى وقت قريب كانت مترعة جداً بالماء- ثم يتجه الماء متدفقاً شرقاً نحو برية العقير، فيصب في البحر، جهة العقير، شاقّاً الطريق على

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، (عين محلم).

(2) ابن منظور، اللسان، (حلم).

(3) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج2، ص759.

هيئـة مجـرى مائي دون انقطاع، فكان نهراً، وكان عيناً، تتفرّع عنها جداول. وسـنرى من الشـعر أن منطقة الأحساء، ولاسيما هذه المنطقة، كانت غزيرة الميـاه، وكانت نخيلها مضرب المثل في الإثمـار والكثافة، والامتلاء، والإنتاج. ويدل على أن (محلم) كان نهراً جارياً قول الهمداني بعد وصفه السابق بأنه (نهر عظيم):

«البحرين: إنما سمّيت من أجل نهرها محلم».

وإضافة إلى التعبير عن اتسـاع ذلك المجرى المائي بوصفه تارة بأنه (عين) وتـارة أخـرى بأنـه (نهر)، فـإن المسـاحة التي يجـري فيهـا موصوفة كذلك بضخامـة النخيـل وكثافتها، وغـزارة إنتاجها، كما في قول الفرزدق السـابق «فسيل دنا جَبّاره من محلـم». ويقول بشر بن أبي خازم:

كـأن حمولَهم لما استقلّوا

نخيلُ محلّم فيها انحناء[1]

وذكره بشر مرة أخرى، فقال:

كـأن حمولهم لما استقلوا

نخيل محلم فيها ينوع[2]

وقال لبيد:

نخل كَوارع في خليج محلم

حمَلت فمنها مُوقَر مكموم[3]

(1) بشـر بن أبي خازم الأسـدي، ديوان بشـر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسـن (دمشق: دار الثقافة، ط2، 1392هـ/1973م) ص2.

(2) المصدر نفسه، ص130.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

وقال ابن الدمينة:

كـأنـهـــم دُلُـــح يـسـقـي جـداولـهـــا

محـلـم حـيـث أدّت خـرجـهـا هجـر[1]

فكل هذه الشـواهد تثبت أن المنطقة التي يجري فيها (محلم) منطقة كثيفة النخيل، غزيرة المياه، تنتج إنتاجاً وفيراً من التمر، إذ كل مفردة في الأبيات السابقة تحمل هذه المعاني وتؤكدها.

هـذا مـن ناحية إنتـاج التمور، أما مـن ناحية غـزارة المياه، فإضافـة إلى أن الأبيات السابقة تدل عليها، فإن الشعر لم يغفل هذا، قال الأخطل:

تـسـلـسـل فـيـهـا جـــدول مــن محـلـم

فـلـو زعزعتهـا الـريـح كـادت تميلها[2]

وقال أعشى همدان:

ولمـــا نـزلـنـا بـالمـشـقَّـر والـصـفـا

وســاق الأعــاريــب الـركـاب فـأبـعــدوا

بـــدأنـــا فــغــوَّرنـــا مــيــاه محــلـــم

لـعـل بـقـايـا جِـمّـة الـقـوم تنفـد[3]

لقد كانت هذه المنطقة ذات المياه الوفيرة والإنتاج الزراعي الكثيف، ولاسيما من التمور القابلة للتصدير، محطّ أنظار القبائل، إضافة إلى كونها منطقة جـذب، مدعـاة لصراعـات القبائـل عليها، وهو مـا دفع بعضهـا إلى الحرب

(1) الرمّاح بن أبرد المرّي، ابن ميادة، شعر ابن ميّـــادة، تحقيق: حنا جميل حداد (دمشق: مط مجمع اللغة العربية، 1402هـ/1982م) ص67.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

(3) المصدر نفسه.

الاقتصادية المتمثلة في تجفيف المياه وتدمير آبارها، كما هو بيّن من قول أعشى همدان، ومثلما يقول الأعشى:

ونحن غداة العين يوم فطيمة

منعنا بني شيبان شرب محلم[1]

وكماهو واضح من قول خَبّال بن شَبّة:

وبهن أيام المشقر والصفا

ومحلم يبكي على قتلانا[2]

(محلّم) / (العين) / (فُطيمة) في قول الأعشى

رأينا توّاً قول الأعشى:

ونحن غداة العين يوم فُطيمة

منعنا بني شيبان شرب محلم

وتتفق المعاجم كلها، قديمها وحديثها، على أن (محلم): يقع في الأحساء، ناحية المبرَّز، ويعني قول الأعشى هذا:

1- أن بني قيس، من بكر، في منطقة المبرز، وأن بني شيبان هاجموهم، فردتهم قيس على أعقابهم.

2- كما يفترض مبدئياً أن (محلم) لقيس، وأن كلتا القبيلتين الأختين، والمتعاديتين، متجاورتان.

وهذا ليس بصحيح، فهذه المنطقة كانت لعبدالقيس، ووجود جماعات بكرية فيها لا يشكل ثقلاً. بل إن قيساً، قبيلة الأعشى، لم تكن في هذه الجهة من

(1) المصدر نفسه.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (محلم).

الأحساء، وكانت شيبان، في عصر الأعشى، تسكن الجزيرة الفراتية. يقول الأعشى بعد ذلك البيت:

جبهناهم بالطعن حتى توجهوا
وهزوا صدور السمهري المقوّم
وأيام حَجر إذ يحرَّق نخله
تأرناكم يوماً بتحريق أرقم
كأن نخيل الشط غب حريقه
مآتم سود سَلَّبت عند مأتم[1]

ويتكرر هذا في قوله:

يوم حجر بما أزل إليكم
إذ تُذكي في حافتيه الضراما

وبعده:

ثم بالعين عُرَّةٌ تكسف الشمـ
س ويوماً ما ينجلي إظلاما
إذ أتتكم شيبان في شارق الصبـ
ح بكبش ترى له قُدّاما

ويرى محقق الديوان:

«العين: عين التمر».[2]

أي: غربي الكوفة. بينما الاتفاق على أن (العين) هي (عين محلّم). وفيها

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ص248 – 249.

(2) المصدر نفسه، ص127.

يقول:[1]

نحن الفوارس يوم العيـــن ضاحيـــة

جنبي فُطيمـــة لا ميـــل ولا عُـــزل

وواضح أن (فطيمة): اسم مكان، يقول البكري:

«فطيمة: موضع في ديار بكر».[2]

فكيف يجتمع هذا التفسير، وديار بكر التي يعنيها البكري في الجزيرة الفراتية، شمالي العراق؟ يقول ياقوت:

«فُطيمة: اسم موضع بالبحرين، كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضُبيعة وتغلب من ربيعة، ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان».[3]

وهذه ليست من منازل ربيعة أيضاً، وإنما منازل ربيعة الجزيرة الفراتية. ولم تقع قط حرب بين تغلب وشيبان، عدوها اللدود، في شرق الجزيرة العربية، وإنما كانت وقائعهم الأولى في وسطها، مما يشكل أعلى وادي (الجرير)، بوسط نجد، نقطة ارتكازها. والأعشى لا يشير إلى تغلب في شعره، وإنما يشير إلى شيبان. وهناك ملاحظة مهمة تتعلق بالعلاقة بين الطرفين، وهي أن كلتا القبيلتين لم تكونا تسكنان البحرين القديمة، وإنما كانتا ترتادانها للامتيار، وهذا واضح من قول الأعشى السابق:

ثـم بـالـعـين عُـــرَّةٌ تـكـسـف الـشـمـ

ـس ويــومــاً مــا يــنـجـلـي إظـلامــا

إذ أتــتـكـم شـيـبـان في شـارق الـصبـ

ـح بـكـبـش تـــرى لـــه قُـدّامــــا

---

(1) المصدر نفسه، ص247.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (فطيمة)، (العين). وانظر، (عين التمر)، (عين محلم).

أما قول محقق الديوان:

«فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني سيار من بني شيبان؛ وله امرأة غيرها من قومه، فتعايرتا، فعمدت السيارية، فحلقت ذؤابة فطيمة، فاهتاجت الحرب».[1]

فحتى لو كان هذا صحيحاً -والدلائل ضده- فالحادثة لم تخرج عن (هجر)، وليس بعيداً عنها. وبهذا تكون (العين): هي عين (محلّم) (عين أم سبعة). ويدل قول الأعشى على تلك الحادثة، حادثة الامتيار من البحرين:

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا

فأنا وجدنا الخط جماً نخيلها[2]

وذلك في اصطدام بين الحيين، وهما يمتاران فقط من البحرين، وهو ما يشير إلى حرب وقعت بينهما في جهات (محلم)، في زمن سابق، فبكر التي كانت تمتار من الأحساء، تحوّلت إلى الامتيار من القطيف (الخط).

ونقل الجاسر عن الأغاني، في تعليق على قول الأعشى: «منعنا بني شيبان شرب محلم»، تأكيد ذلك:

«حذرهم أن تلقى شيبان مثلما لقوا يوم العين: عين محلم، بهجر».[3]

ومن ثم، فإن قول أعشى بني عوف بن همام بن مرة الشيباني:

قد سَرّ قومي على ما كان من حَدث

بالعين أني لأخلاق العُلا سامي[4]

هو في هذه العين ذاتها.

---

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، حاشية ص177.

(2) المصدر نفسه.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1582.

(4) الحارث بن حلزة، ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق عمر فاروق الطباع (بيروت: دار القلم، 1404هـ/1994م) ص71. وانظر، الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص11.

و(عين محلم)، (العين)، هي التي جاءت في قول الممزّق العبدي:

فمن مُبلِغ النعمان أن أُسيِّداً

على العين تعتاد الصفا ويُمرِّق[1]

وقال لبيد:

بَينَ الصَّفَا وخليج العين ساكِنَةً

غُلْبٌ سواجدُ لم يَدخل بها الخَصَر[2]

وهي التي جاءت في قول أبي النجم العجلي:

لاقت تميم في ساهورها بين

الصفا و(العيس) من سَديرها[3]

وقال امرؤ القيس:

أطافت به جيلان عند قطاعه

تُردِّد فيه العين حتى تَحيَّرا

وقال ابن دريد:

«يعني عين هَجَر».[4]

أي: عين (محلم) (عين أم سبعة)، ولكن الأزهري رواه:

....

ورَدَّد فيه الطرف حتى تحيرا[5]

---

(1) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، المفضّليّات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1383هـ/1964م) ص421. يمرق: يغني.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

(3) ابن منظور؛ اللسان، الزبيدي، التاج، (سهر) وفيهما (العيس)، وصوابها (العين).

(4) أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة (بغداد: مكتبة المثنى، د - ت) ج3، ص227.

(5) الأزهري، التهذيب، ج11، ص191، وانظر، (عينين).

ومعلومة قيّمة جدّاً تفيدنا بها هذه الإشارات الشعرية، وهي أن تلك الحروب بين القبائل كانت تقع خارج الأسوار المحصنة بهجر التي تقيم فيها الحامية الفارسية، ويتولى قيادتها القائد الفارسي (المرزبان)، والتي لم تتعرض لتلك الصراعات القبلية بين البدو، تاركينهم وشأنهم يقتتلون فيما بينهم. وكانت عبدالقيس تتعرض كثيراً لغزوات البدو، ولكن كل ذلك بعيد عن الاصطدام بالفرس؛ لأنه لا يعنيهم، مثلما سنرى من قول عمر بن الطفيل:

إن تسألي الخيل عنا في مواقفها

يوم المشقّر والأبطال في زَعَج

والحادثة المثيرة التي احتك فيها الفرس بالبدو هنا هي حادثة (يوم المشقَّر) التي سنأتي على ذكرها.

ومرة أخرى، فهذا يؤكد أن المقصود بـ(عينين)، هو (عين محلّم)، كما لحظنا من مطاردة عبدالقيس تميماً، بعد أن كادوا يبتعدون عنها.

المشقّر (المبرَّز)

يحدد الجاسر (المشقر) على أنه:

«بقرب مدينة الأحساء... بقرب عين الجوهرية، في قرية البطالية».[1]

وهذا التحديد لا يتّفق مع الصورة المنقولة عن (المشقر)، كما لا يتفق قرينه (الصفا)، فإذا كانت (عين محلم) هي العين الحَارّة، فإن الموقع المناسب لـ(المشقر) هو: المبرز، شمال الهفوف، وفي المبرز قلعة صاهود.

فهنا قلعة، ذلك الحصن المشهور،[2] وقد تحوّل نطق الاسم إلى المبرز، بعد أن استُثقل نطق (المشقر). ولا بد أن القلعة أقيمت على بقايا حصن قديم.

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1631.

(2) انظر، ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

والغريب أن البكري ضبطه في موضع آخر بكسر القاف المشددة،[1] بينما حافظ على الفتح هنا.[2]

علاقة عبدالقيس بـ(المشقَّر)

يثبت يزيد بن مفرغ أن (المشّقّر) لعبدالقيس، فيقول:

تركت قريشاً أن أجاور فيهمُ

وجاورتُ عبدَالقيس أهلَ المشقَّر[3]

كما يثبته قول عمرو بن أسوى الليثي، من عبدالقيس:

شحطنا إياداً عن (وقاع) فقلصت

وبكراً نفينا عن حِياض المشقَّر[4]

أما ما يُنسب إلى بعض آل سعد بن ملك يكرب، فهو على الأقل يثبت وجود (الأزد) قديماً بهذه المنطقة، يقول:

وأزد لها البحران والسِّيف كله

وأرض عُمان بعد أرض المشقَّر[5]

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

(2) المصدر نفسه، (المشقر).

(3) يزيد بن مفرغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مط الرسالة، ط2، 1402هـ/1982م) ص135.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص81.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص369.

علاقة (المشقَّر) بـ(الصفا) و(محلِّم)

وقد أكثروا من ذكر (المشقَّر)، لارتباطه بـ(الصفا) كثيراً، وبـ(محلم)، كما في قول الأعشى:

فإن تمنعوا منا المشقر والصفا

فإنا وجدنا الخط جمّاً نخيلها[(1)]

وفي قول امرئ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يا من

دوين الصفا اللائي يلين المشقَّرا[(2)]

وقال طرفة:

وتُلبس قوماً بالمشقَّر والصفا

شآبيبَ موتٍ تستَهلُّ ولا تُغضي[(3)]

وقال حميد بن ثور:

لقد غادر الموت قبل الصفا

وبعد المشقر قدراً جليلا[(4)]

وقال أعشى همدان:

وإما نزلنا بالمشقر والصفا

وساق الأعاريب الرِّكاب فأَبعدوا[(5)]

---

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، ص177.

(2) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص57.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

(4) أبو بكر، محمد، وأبو عثمان، سعيد، الخالديان، الأشباه والنظائر، تحقيق: السيد محمد يوسف (القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م) ج2، ص343.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1381هـ/

وقال جرير:

عـلـيكـم بـالـنـخـيـل فـأَصـلِـحـوهــا

ودوروا بـــالمشقَّـــر فـــالصفـــاء[1]

وقال أبو النجم العجلي، وهنا تصحيف، فهو (السِّيف)، وليس (السند):

ونزلوا عند الصفا المشقَّـرا

وهبطوا (السِّند) بجني قطرا[2]

ومـع ارتبـاط (المشـقَّر) بـ(الصفـا)، فقد ذكروا معـه أيضـاً (محلم)، قال حِناك ابن سَنَّة العبسي:

وبـهـــن أيـــام المـشـــقَّـر والـصـفــا

ومحـــلِّـم يـبـكـــي عــلــى قتلانـا[3]

رمزية (المشقَّر)

وقال رجل من كندة:

فـــأرى المـشـــقَّـر كـــان يـحـرس بـابـه

ألـــف وألـــــف مـــن يَــرُمــه يُفلَق[4]

قال الفرزدق:

1962م) ج9، ص155.

(1) جرير، ديوان جرير، ج2، ص1019.

(2) محمـد مرتضـى الزبيـدي، التـاج (الكويت: مـط الحكومـة، 1384هـ/1974م) (قطر) (وهو ليس في ديوانه).

(3) أبو القاسم، الحسن بن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مطـ عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1381هـ/1961م) ص117.

(4) أبـو عبـادة، الوليـد بـن عبيد البحـتري، حماسـة البحتري، تحقيق: لويس شـيخو (بـيروت: دار الكتاب العربي، ط 2، 1387هـ/1967م). ص82. وانظـر ما ينسـب لتُبّع، أخبـار عبيد، ضمن كتـاب، وهب بن منبه، التيجان (الهند- حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1347هـ) ص ص459، 462.

وحتى تجروا الغُرّ من رمل عالج

إلى أهل جوّ أو تجروا المشقَّرا[1]

كما قال:

لعَمرُك لا يرقى الكليبيُّ منزلاً

برَهط كليبٍ أو يَحُلّ المشقَّرا[2]

وقال مالك بن نويرة:

أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم

كما لا يريم الأَسْبِذَيُّ المشقَّرا[3]

وقال يزيد بن مفرِّغ:

هتافةٌ تدعو صدىً

بين المشقَّر واليمامة[4]

وذكره شريح بن هانئ الحارثي، فقال:

«وباجميراوات والمشقّرا»[5]

تصحيف في (المشقَّر)

ذكر أبو الخير قول قيس بن عاصم، في أبجر العجلي، عن مخطوطة كتاب الردة:

---

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص234.

(2) المصدر نفسه، ص487.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

(4) المبرد، ج1، الكامل، ص373. وما في ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري، ص214: (هامة تدعو الصدى)، لا يستقيم مع التركيب.

(5) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، العثمانية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1374هـ 1955م) ص1258.

يقود إلى الإسلام بالجهل جحفلاً

لينهبَ أموال الصفا و(المَشعَر)

وعلق عليه:

«الأسلوب الكنائي اللطيف: لينهب أموال الصفا والمشعر؛ يعني: أموال الزكاة».[1]

وهذا تصحيف، فالشاعر قال هذا في حروب الردة في بلاد البحرين هنا، ولم يقصد ما قصده أبو الخير، وإنما يقصد (الصفا) بهَجَر، وكذلك (المشقر) فيه.

علاقة يوم (الصفقة) بـ(المشقّر)

قال عامر بن الطفيل:

إن تسألي الخيل عنا في مواقفها

يوم المشقّر والأبطال في زَعَج[2]

وهذا غزو ضد عبدالقيس، أهل (المشقر)، ولا علاقة له بـ(يوم المشقر) بين تميم وفارس، يقول عامر:

وعبدالقيس بالمرداء لاقت

صباحاً مثل ما لقيت ثمود

صبحناهم بكل أقب نهد

رقيق الحد زَيّنه غُمود

---

(1) محمود بن عبدالله أبو الخير، (شعر حروب الردة بين التاريخ والفن)، الدارة، س15، ع2 (المحرم– ربيع الأول، 1410هـ/ أغسطس – أكتوبر، 1989م) ص146.

(2) ابن الطفيل، ديوان عامر بن الطفيل، ص37.

إلى أن يقول:

وأَردفـــنـــا نـســاءهــم وجـئـنـا

وقـد دَمِـيَـت مـن الخَـمـش الخــدود[1]

على أن قول عامر بن الطفيل:

أردتُ لـكـي لا يـعـلـم الله أنـنـــي

صـبـرتُ وأخـشـى مـثـلَ يـوم المشقر[2]

الذي ربطوه بيوم الصفقة (في المشقر)، بين الفرس وتميم، يجوز هنا فقط، على سبيل التمثيل، لا على أن بني عامر اشتركت في هذا اليوم قط، وكما جاء في تفصيل الحادثة.

وقال حميد بن ثور:

لـقـد غـــادَر المـــوتُ قـبـل الـصَّـفـا

وبـعـد المُـشَـقَّـر قـــدراً جليلاً[3]

الخلط بين الأسماء

المشقَّر بالحجاز

ومع ذلك الإجماع على كون (المشقر)، هو المُبَرَّز، بالأحساء (هجر)، فإن تلك الأشعار هي التي تنطبق عليه فقط، أما ما عداها، فلا يتوافق إطلاقاً مع كونه، حتى على ما رآه الجاسر:

---

(1) المصدر نفسه، ص ص49 – 51.

(2) أبو العباس، المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، (بيروت: مط الآباء اليسوعيين، 1920م) ص708.

(3) الخالديان، الأشباه والنظائر، ج2، ص343.

«في هجر... الأحساء... بقرب عين الجوهرية، في قرية البطّالية».

فهذه قرية زراعية متواضعة كثيراً، قريبة منها (عين الجوهرية)، عين ماء ارتوازيّة، وليست نهراً متساقطاً من سفوح شاهقة، أو حتى عالية نسبياً، وهي كذلك، بعيدة عن الآكام التي تحفّ بقرية (العيون)، والتي تأتي غربيّاً منها. وحتى هذه الجبيلات هي عبارة عن آكام، وليست جبالاً.

وليس هذا فقط، ذلك أن قول عبيد بن عبدالعزى السلامي:

ومُرتجِز جَون كأن ربابه

إذا الريح زجّته هضاب المشقّر

يَحُطّ الوُعولَ العُصم من كلّ شاهق

ويَقذِف بالثيران في المُتَحَيَّر[1]

وهنا لدينا (هضاب)، أي: سلسلة جبلية، ضخمة، مرتفعة، ممتدة، تفوق تصوّرها جبلاً محدود المكان، كذلك المطلّ على (خيف منى)، ولا تحتملها حتى أرض (البطالية)، أو (المبرز)، بل أرض الأحساء كلها، كما أنها لا تتناسب مع كونها موضع كسرٍ للصخور، في متناول الناس، حسبما يُفهم من قول أبي ذؤيب.

وعبيد بن عبدالعزى السلاماني، الزهراني، يصف مجيء سحاب، والسحاب القادم على سراة غامد وزهران -وهي سراة مرتفعة- يأتي من الغرب، أي: الجبال الشاهقة المطلة على بلاد غامد وزهران من الغرب، فهذه هي التي يمكن أن ينطبق عليها قوله.

وبالتالي، فهذه الجبال التي ينبغي أن تكون في (السراة) غرباً، هي التي تتوافق مع قول الأعرابي، من بكر بن وائل:

ولئن بنيت لي المشقّر في

هضب تقصر دونه العُصم[2]

---

(1) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة (بيروت: مط الرسالة، ط1، 1402هـ/1982م) ص129.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الأغدرة).

ذلك، أنه يستحيل أن يكون هناك جبل في (البطّالية) أو (المبرز)، بالأحساء، أو في الأحساء كلها:

....

هضب تقصر دونه العُصم

وعلاوة على هذا، فإن (الوعول العصم): ليست من حيوانات المنطقة الشرقية في كل أرجائها، ثم إن الطبيعة الطبوغرافية لا تتناسب مع وجود (هضب) هناك، وكذلك (الثيران): وإن لم يعنِ به البقر الوحشي؛ لأن البقر الوحشي مسكنها الرمال، إنما يعني حيوانات وحشية مثلها.

وهذا يدفعنا إلى التفكير في مصدر هذا التصور، إذ يتّضح أن مصدره هو (هضاب المشقّر)، في السراة غرباً، وأن (المشقَّر): اسم (حصن) أو (قصر)، أي: بناء يتصوّر الناس أنه كان مقاماً على هذه الجبال، وربما نسبوه إلى خوارق طبيعية، فكان الاسم يُتناقل، حتى أصبح ذلك البناء، الفريد يوماً ما في الأحساء، رمزاً للمنعة والعظمة.

على أن هذا يدعونا إلى التساؤل عن توجيه الموضع نحو (هجر) (الأحساء)، المنطقة الزراعية المتواضعة، فما الذي يدفعنا إلى هذا، والطبيعة الطبوغرافية لها غيرُ مناسبة لإقامة مثل ذلك البناء. فمثلاً، حين يقول الحارث بن خالد المخزومي:

أمن طلل بالجزع من مكة (السِّدر)

عفا بين أكناف (المشقّر) ف(الحَضر)[1]

وأغلب الظن أن تحريفاً شديداً دخل البيت، فلعله (المعرَّف)، وربما شمل

(1) الحارث بن خالد المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: يحيى الجبوري (النجف: مط النعمان، 1392هـ/1972م) ص84.

التحريف أيضاً (الحضر)، وكذلك، (السدر). ولا يمكن أبداً أن يكون هذا هو: (المشقّر): في قرية (البطالية)، بالأحساء أو حتى (المبرز). بل يجب أن يكون في مكّة، فكلّ أطلال المخزومي فيها، فمن ذلك قوله:

هل تعرف الدار أضحت آيها عُجُما

كالرَّق أجرى عليها حاذِق قلما[1]

وقوله أيضاً:

يا دار أقفر رسمها

بين المحصَّب والحَجون[2]

وهنا نعود إلى ما ورد في قول أبي ذؤيب:

حتى كأني والحوادث مروة

بصفا المشرّق كل يوم تقطع

الذي وردت فيه رواية أخرى هي: (المشقّر)؛ ولعل ذلك جائز، وهو غير هذا الذي يرد في قول المخزومي؛ إلا أنه ليس جائزاً في قول المخزومي، وإن يكن يوثّق رواية (المشقّر) في قول أبي ذؤيب؛ لأنه يقول: «أكناف المشقَّر» فهذا جبل ضخم، له (أكناف)، وموضعه واضح أنه في مكة، وفي (مِنى)، حيث (مسجد الخيف)، فقد قالوا:

«المشرق: المصلى؛ ومسجد الخيف: هو المشرق».[3]

وهذا ينطبق على قول المخزومي، ولا ينطبق على قول أبي ذؤيب، إلا أنه

---

(1) المصدر نفسه، ص129.

(2) المصدر نفسه، ص144.

(3) أبو سعيد، الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مط المدني، 1384هـ/1965م) ج1، ص9.

ليس:

«المشرق: المصلى؛ ومسجد الخيف: هو المشرق».

المشقَّر بالعراق

قال المخبل:

لعمري لقد خارت خفاجةُ عامراً

كما خيرُ بيت في العراق المشقّر

وواضح من قوله، أن الموضع بالعراق، وهذا هو الذي قال عنه البكري:

«المشقّر: قصر... وبنى المشقَّر معاوية بن الحارث بن معاوية، الملك الكندي».[1]

وليس كما يراه العبودي بالأحساء، وأنه الذي بناه معاوية بن الحارث.[2]

ونتيجة لهذا، تخلط الكتابات القديمة والحديثة في نسبة كندة إلى الأحساء (هجر)، ولم يكونوا هناك قط.

وفي هذا يقول الشماخ:

وأعرض من خَفّان أُجْمُ يَزينه

شماريخ باها بانياه المشقّرا [3]

كندة وعلاقتها بـ(المشقَّر): بالأحساء

رأينا تَوّاً كيف فهم العبودي من ذكر (المشقر) أنه بالأحساء في قول المخبل، على الرغم من قوله: (في العراق المشقّر). ونجد جواد علي، يذكر أن امرأ

(1) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(2) محمد بن ناصر العبودي، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ) ج4، ص1409.

(3) الشماخ بن ضرار الذبياني، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، 1968م) ص377.

القيس:

«ولد ببلاد بني أسد، وأنه كان ينزل بالمشقر، وهو موضع ذكر في شعره».[1]

وإذا ما ذكر امرؤ القيس موضعاً، على طريقة التمثيل، فهذا لا يعني أنه زاره، أو شاهده، وإنما هذا جزء من الثقافة الأدبية. وامرؤ القيس لم ينزل (المشقر) (بهجر-المبرز)، ولم يأت أصلاً إلى هذه المنطقة حتى ينزل بها. وحتى الأخبار عن ابن الجون الكندي في الأحساء، أخبار لا سند لها من وقائع التاريخ بتاتاً. يقول امرؤ القيس:

أبعد أبي في حصن كندة سيّداً

يَسود جموعاً من (جيوش) وبربرا

ويغزو بأعراب اليمانين كلهم

له أمره حتى يَحُلّ المشقَّرا[2]

وهذا قول لا يتَّسق مع معطيات التاريخ أبداً، فـ(المشقر): حصن هجر، كان في عصر دولة كندة، في يد الفرس، لا يتنازلون عنه. وإذا فهمنا قوله السابق:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللائي يلين المشقّرا

على أنه في (المشقّر) بالأحساء حقيقة، فلا ينبغي أن نعمّم ذلك على قوله حكاية عن مال أبيه؛ فتلك صورة اعتيادية في وصف الظعائن، أما هذه فواقع، والواقع التاريخي يشير إلى (المشقّر) بالعراق، فلذلك قال: «إن

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1968م) ج3، ص361. وانظر، الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص79.

(2) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص269. (جيوش): مصحفة، صوابها (حُبوش)، أي: الأحباش.

صدقاً وإن كذبا». فهذا امرؤ القيس نفسه يذكر العراق، ولا يذكر (هجر)، يقول:

أبعد الحارث الملك ابن عمرو

له ملك العراق إلى عُمان[1]

ذلك أنه ليس من أملاكه الأحساء قطعاً، وإنما جاءت نسبة امرئ القيس، وكندة عامة- من التعلق بمثل ما أورده البكري:

المشقَّر: مدينة هجر، وبنى المشقّر معاوية بن الحارث بن معاوية، الملك الكندي، وكانت منازلهم ضرية، فانتقل أبوه الحارث... ثم بنى ابنه المشقَّر، قال امرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

....[2]

فخلط البكري تلك النتيجة التاريخية الخاطئة، اعتماداً على هذا البيت الوصفي، والذي لا علاقة له بكندة.

***

هجـــــر

هذه هي (هجر): الأحساء- في المنطقة الشرقية، بالمملكة العربية السعودية، فهي معلومة معروفة.

ذكر (هجر) بشكل عام

قال أحدهم:

---

(1) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص143.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

تـضـمّـن قـيـس لـه ذمـةً

فـحَـطّ بـهـا رحـلـه في هـجـر[1]

وقال آخر:

تـحـسـب أنـا قُـربَ هـجـرْ[2]

وقال الأخطل:

عـلى الـعـيـارات هَـدّاجـون قـد بلغت

نجـران أو حُـدِّثـت سـؤاتـهـم هجر[3]

وقال جندل بن المثني الطهوي:

ومـثـلـهـم مـن بـصـرة ومـن هجر[4]

وقال العجاج:

إذا حـسـبـوا أن الجـهـاد والـظَّـفَـرْ

إيـضـاعُ بـين الخـضـرمـات وهَجَرْ[5]

وقال عكاشة بن أبي مسعدة السعدي:

قـد ورَدت والـظِـلُّ آزٍ قـد جَـحـر

جـاءت مـن الخـط وجـاءت بـي هجر[6]

وقال الفرزدق:

---

(1) الواقدي، كتاب الردّة، ص158.

(2) الزبيدي، التاج، (هجر).

(3) الأخطل، شعر الأخطل، ج1، ص209.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (المنكدر).

(5) البكري، معجم ما استعجم، (الخضرمة).

(6) الزبيدي، التاج، (جحر).

سـاروا على الـريح أو طـاروا بأجنحة

سـاروا ثلاثـاً إلـى البَـحّار مـن هَجَرا[1]

وقال أبو نواس:

يَمَّـــــــــمْن مــن جَـنـبَــي هـجـرْ

أخـضــرَ طــمّــامِ العــكر[2]

وقالـت، (خضرمـة): الزرقاء بنت زهير؛ كاهنة بني تيم اللات بن أسـد بن وبرة بن تغلب بن حلوان:

لا تُـنـكـري هــجــراً مــقــام غـريـبـة

لــن تـعـدمـي مــن ظـاعـنـين تهام[3]

وهـذه مـن الأخبار غـير الموثوقـة، إذ إن (تغلب بن حلـوان) –وهو غير تغلب بنـت وائل، أخت بكـر– قبيلة قديمة جدّاً، وهي من قضاعة، وتحرك قضاعة كان نحو غرب الجزيرة العربية وبلاد الشام!

البناء والعمارة بهجر

يتبيّن من الإشـارات إلى البناء والعمران بـ(هجر) أن الوضع العمراني كان متقدّمـاً جـدّاً فيهـا، وأن أبنيتها كانت ذات أحجام كبـيرة، حتى إنهم ركزوا على القصور (عقر)، (مِجدل)... وحرصوا على التفنّن في هندسـتها «على مثال»، وعلى تحديد نوع موادّ البنـاء المسـتعملة فيها؛ بل تدل الإشـارة إلى أن العمران كان فيها مسـتمرّاً متطوراً «بذوات طبخ أطيمة لا تَخمُد»، وأمر آخر ذو قيمـة في التركيبـة السـكانية لـ(هجر)، وهـو أن المسـتوى الحضاري كان

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص386. في الحاشية: (البحَّار: بئر بظاهر البصرة).

(2) أبو نواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987م) ج1، ص314.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص22.

راقيـاً، لا ينظـر للمهن نظرة دونية، سـواء عمرانيّـاً، أو زراعيّاً، ولا يأنف من ممارستها، هو الشائع عند نظرائهم البدو. يقول الطرماح:

حَــــرَجٍ كـمِـجـدل هــاجــري لَــزَّه

بــذوات طبـخ أطيـمـة لا تَخمُد[1]

ويقول لبيد:

كـعـقـر الـهــاجــري إذا ابـتـنـاه

بــأشــبــاه حُــذيــن عــلــى مــثــال[2]

الحالة الاقتصادي لـ (هجر)

لاشـك أن شهرة (هجر) بتصدير التمور الفاخرة، والقابلة للتخزين، والتي كانت تشكِّل العصَب الاقتصادي لهذا البلد، بحيث يحقّق الرخاء والرفاهية، ويستقـطب إليـه التجمـع السـكاني، لمـا يحظـى به من ميـاه جوفيـة متدفّق عميقة، جارية، كان هو موضع التركيز واللافت للأنظار؛ يقول أحدهم:

حُــبِــســـن بـــين رمــلـــة وقـــفّ

وبـــين نـــخـــل هـــجـــر الــمــلــتــف[3]

وذكرها ابن الدمينة، فقال:

كـأنـهـا دُلُـــح يـسـقـي جـداولـهـا

محـلِّـم حيـث أدت خَـرْجَـهـا هجر[4]

---

(1) الطرمـاح بـن حكيـم، ديـوان الطرمـاح، تحقيـق: عـزة حسـن (دمشـق: دار الشـروق العربـي، ط2، 1414هـ/1994م) ص112.

(2) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد، ص76.

(3) أبو علي، إسـماعيل بن القاسـم القالي، الأمالي (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957م) ج2، ص100.

(4) عبـدالله بـن الدمينـة، ديوان ابن الدمينة، تحقيـق: أحمد راتب النفاخ (القاهرة: مـط المدني، 1379هـ) ص67.

وقال ذو الرمة:

كـــأنّ أضــعــانَ مَـــيّ إذ رُفِــعــن لنــا

بواسـق النـخل مـن يبريـن أو هجرا[1]

ولقـد أكثر الفرزدق من ذكر (هجر)؛ لأنها قريبة من ديار قومه، ولأهميتها بالنسبة للامتيار من أسواقها، فقال:

وأقـــرب الـريـف منـهـم سـيـر منـجـذب

بـالـقـوم سـبـع لـيـال ريـفُـهـم هجرُ[2]

وقال:

إن تـمـنـع الـتـمـر مـن رازان مـائـرَنـا

فلـسـتَ مـانـع جُـلِّ الحَـيّ مـن هجرا[3]

وقال كذلك:

وقـــد كـــان في الــدنـيـا مَـــراد لعقبه

وفي هـجـر تـمـر ثـقـال جَلائله[4]

وقـال القطامـي، وهـو بعيد عن (هجر)، مـن أهل الجزيـرة الفراتية، وإنما ينقل ما يتردّد عن شهرة تمور (هجر):

ولا الــتــمــر المُـكَـمّــم حــول حـمـص

إذا مــا حــان مـن هـجـر الجُـــزار[5]

---

(1) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج2، ص1155.

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص222.

(3) المصدر نفسه، ص284.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص665.

(5) عمـير بـن شـييم القطامـي، ديـوان القطامي، تحقيـق: إبراهيم السـامرائي وأحمد مطلـوب (بيرت: دار الثقافة، ط1، 1960م) ص147.

وقال ابن مقبل:

ثــم ارتحـلـنـا أَنِــيّــاً بـعـد تضحية

مثل المخاريف من جيلان أو هجر[1]

النسبة إلى هجر وعلاقتها بالحالة الاقتصادية والعمرانية

على أن شعراً كثيراً جاء بنسبة التمر إلى (هجر)، أما النسبة إلى (هجر)، فجاءت في مثل قول أحدهم:

بَـسَــرت نَـــداه لم تُـسَــرَّب وحوشـه

بـغَـرْب كـجـذع الـهـاجـري المشذب[2]

وقال غيره:

ورب غـــارة أوضــــعــن فـيـهـا

كـسَــحّ الـهــاجــري جَــريم تمــر[3]

وقال الحطيئة:

رشــاش كـغـربَـي هــاجـري كلاهـمـا

لــه داجــن بــالـكُـرَّتــين عليف[4]

وقال عوف، من بني الهُجَيم:

فـــأبــرز طـاهـيـنـا لــه هـجـريـة

وفي كيلها بالـقَـنْـقَـل المتراغب[5]

---

(1) تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مط مديرية إحياء التراث، 1381هـ/1962م) ص92.

(2) ابن منظور، اللسان، (بسر). وهو في لبيد، شرح ديوان لبيد، ص12.

(3) الزبيدي، التاج، (هجر).

(4) جرول بن أوس، الحطيئة، ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1378هـ/1958م) ص253.

(5) أبو العلاء، صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، الفصوص، تحقيق: عبدالوهاب التازي سعود (المغرب:

وقال العجير:

كـمـتـاً وشــقــراً وورّاداً شـــــزّبـاً

مـثـلَ جَـــريم الـهـجـري المُتسق[1]

وقال الفرزدق:

أتــتــهــم بـعـير لم تــكــن هـجـريـة

ولا حِنطة الشـأم المَـزِنـتُ حَميرها[2]

وقال كذلك:

ولــولا رجـائــي فضـل كفَّيك لم تَعُد

إلـــى هَـجَـر أنـضـــاؤنـا لـرُجُــوع[3]

وقال لبيد:

تــشـــق الأحــــــــزةَ سُـــلافُـنـــا

كـمـا شَـقَّـق الـهـاجـري الـدَّبــارا[4]

وسبق أن رأينا الطرماح ينسب العمارة إلى (هجر)، في قوله:

حَــــــرَجٍ كـمِـجـدل هـــاجــري لَـــزَّه

بــــذوات طـبـخ أطـيـمـة لا تَـخـمُـد

وجاءت تثنية (هجر) في قول الفرزدق:

مط فضالة، 1423هـ/1993م) ج5، ص226.

هجرية: أي نوع من التمر. القنقل: مكيال ضخم. المتراغب: الواسع.

(1) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير (حيدر أباد: مط مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1368هـ/1949م) ج1، ص53.

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج2، ص459.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص493.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (حواء).

ولـــو أني بـصــين اســتــان أهــلــي

وقــد أغـلـقـت مــن هَــجَـرَيــن بابا[1]

مرداء هجر

جاء في اللسان:

«مرداء هجر: رملة دونها، لا تنبت شيئا».[2]

وقال الجاسر:

«مـرداة هجـر: بقـرب مدينـة هجـر، ليس معروفـاً الآن... شـرقي واحـة الأحساء».[3]

وقوله: «بقرب مدينة هجر» مقبول، أما أنها شرقها، فالصور الشعرية تجعل الموقع جنوب غرب واحة الأحساء. يتبيّن هذا من قول عامر بن الطفيل الذي كان يقّدم من غرب اليمامة:

وبـــالمـــردات قـــد لاقـــين غُـنــمـاً

ومــن أهــل الـيـمـامـة مـا بغينا[4]

ومن قول الراجز:

هــلا ســألـتـم يــوم مـــرداء هَـجَـرْ

إذ قـابـلـت بـكـر وإذ فــرّت مضر[5]

فبكر وتميم تصطرعان غرب الأحساء، وليس شرقها.

---

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص92.

(2) ابن منظور، اللسان، (مرد).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1600.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (المردات).

(5) ابن منظور، اللسان، (ردي). وانظر، (مرد).

ومن ثم يأتي قول الراعي:

....

ومـــن بـــالمَـــرادي مـــن فصـيح وأعـجـم

على أن «المرادي: جمع مرداء هجر».[1]

وعليه، يكون قول العبيد:

«مَلّد: جبل يقع إلى الغرب من الأحساء».[2]

ليس دقيقاً، فاللسان ذكر أنها (رملة)، وهو ما يؤيده قول عامر بن الطفيل السابق من كون «مرداء هجر»: جنوب غرب الأحساء.

الوضع السياسي لـ(هجر)

رأينا الفرزدق قبل قليل يقول:

ولـــو أني بـصـين اسـتـان أهـلـي

وقـد أغـلـقـت مـن هَـجَـرَيـن بـابـا

أي: أن (هجر) المدينة كانت محصنة بأسوار منيعة، ولها أبواب، وبالتأكيد هناك حُرّاس، ولاشك أن الحامية الفارسية كانت تقيم بداخلها.

وقال طرفة:

أعـطـاك أهـل الـطـود عـن عـرض

سـيـفَ صـحـار كـلـهـا وهـجـر[3]

---

(1) المصدر نفسه.

(2) العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، جـ2، ص292.

(3) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مط مجمع اللغة العربية، 1395هـ/ 1975م) ص163.

وهـو يشـير إلى عمرو بـن هند، ملك الحيرة، وبالطبع، فليس لعمرو سـلطة علـى مـا بداخل أسـوار (هجر)، إذ هي خاضعة مباشـرة للنفوذ الفارسـي، غير أن الفرس تركوا مسـؤولية السـيطرة على القبائل البدوية النازلة فيما حـول (هجـر) للمنـاذرة. وقال الفرزدق، وهـو بذلك يشـير إلى ما حدث في الإسلام من حروب:

منهن أيام صِدق عُرفن بها
أيام فارس والأيام من هَجَرا[1]

وقال:

لقُوا من سار من هجر إليهم
بنَحس النجم والقمر المُحاقِ[2]

الطريق من هجَر (الأحساء) إلى الحِيرة

ليس بين أيدينا شعر يدل على الطرق السـالكة بين (هجر) و(عُمان)، ولا بـين (هجر) والسـاحل الغربي للجزيرة العربية، علـى الرغم من وجود هذا في النثر، يقول المثقب العبدي:

إذ لم أجد حبلاً له مِرّةٌ
إذ أنا بين الخَلِّ والأَوبَد[3]

ولم تذكـر المعاجم الجغرافية، لا تحديـد (الخلّ)، ولا تحديد (الأوبد)، وإن كان المفترض أن يكونا موضعين في تلك الجهة من دياره غرب الأحساء، أي:

---

(1) الزبيدي، التاج، (هجر).

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج2، ص590.

(3) المثقب العبدي، ديوان المثقب العبدي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1391هـ/1971م) ص17.

أن البدو من عبدالقيس، الذين ليسوا بحاضرة، فهم هنا في بادية الأحساء الشرقية، وهم هناك في غربها، يقول موضِّحاً انتشارهم فيما بين ذلك:

كـلُّ يـــــــوم كــان عـــنّـا جَـلــلاً

غـيـرَ يـوم الحِـنـو في جنـبـي قطـر

وهو هنا يتحدّث عن إغارة عمرو بن هند على هذه الجهة من شرق الأحساء، فيقول:

ضــربـت دوســـر فـــيـنـا ضـربـةً

أثـبـتـــت أوتـــاد مـلـك مُـسـتَـقِـر

صـبَّـحـتــنـا فـيـلـقٌ مـلـمـــومـةٌ

تَمـنَـع الأعـقـاب منـهـن الأُخَـــر[1]

يتحدث المثقب العبدي هنا حقيقة عن بادية عبدالقيس (لُكيز)، وليس عن حاضرتها؛ لأن الحاضرة تحت الحماية الفارسية مباشرة، بينما يقوم المناذرة بإخضاع البدو، يقول:

فأنعِـم أبَـيـت الـلَّـعنَ إنـك أصبحت

لـديـك لُـكـيــزٌ كـهـلُـها ووليدها[2]

أما عن غرب الأحساء، فيصف رحلة ظعائنه انطلاقاً منه، في قصيدته النونية، وهو ما يعني أن موطنه هناك، فيقول:

لِمَــن ظُـعُـن تَـطَـلَّـع مـن ضُبـيـب

فـمـا خـرجـت مـن الـــوادي لِحـين

---

(1) المصدر نفسه، ص ص71 – 76.

(2) المصدر نفسه، ص ص83 – 116.

تبصّر هل ترى ظعناً عِجالاً

بجنب الصَّحصحان إلى الوَجين

مَررن على شَراف فذات (هجل)

ونَكَّبْنَ الذرانح باليمين

وهن كذاك حين قطعن فَلجاً

كأن حدوجهن على سفين[1]

وفي ضوء هذه الأبيات نستنتج خطّ رحلة ظعائن المثقب العبدي على هذا النحو التالي:

وحسب تحديد القدماء، فهذه المواضع كالتالي:

(ذات) رجل: موضع بالبحرين.[2]

الذرانح: موضع بين كاظمة والبحرين... وهذه كلها مواضع من البحرين إلا فلجا.[3]

شَراف: بين واقصة والقرعاء.[4]

فلج: وادٍ يفرُق بين الحزن والصَّمّان.[5]

وإذن، فقد كان فهم القدماء فهماً صحيحاً كل الصحة، ذلك أن التصور وحده يقود إلى أن الرحلة تنطلق من ديار (المحبوبة)، ومواطن الشاعر

---

(1) المصدر السابق، ص ص142 – 148.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (ذات) رجل. هذه هي رواية البكري، والمثقب، ديوان المثقب، (ذات هجل). وانظر، الجاسر، شمال المملكة (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1397هـ/1977م) ج2، ص772.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (الذرانح). وفي رسم ياقوت، معجم البلدان، (الذرانح)، ذكر هنا أيضاً رسماً آخر هو: (الذرايح).

(4) ياقوت، معجم البلدان، (شراف).

(5) المصدر نفسه، (فلج).

الأولى، وهو الواقع فيما يخص الأطلال ورحلة الظعائن، أما أن تتجه الرحلة من ديار الأعداء، (الحيرة) هنا، فهذا أمر غير مألوف على الإطلاق، وغير واقعي، وهنا نحن أما شاعر من بلاد البحرين، التي كان القدماء حريصين جداً على تحديدها، حتى إن البكري جعل (كاظمة) فاصلة بين البحرين، فالبحرين تأتي أعلى منها، وكان البكري دقيقاً عندما جعل (ضبيب)، في بلاد عبدالقيس، بلاد الشاعر، وموطن المحبوبة: في شرق الجزيرة العربية، وتحديداً يمكننا أن نقول: بَوادي الأحساء من الغرب، ثم تصعد، فتلتقي بـ(الذرانح)، ماراً بـ(مرتفعات) هي (شراف)، ومسائل أودية منها (ذات) رجل.

وعلى هذا، فإن بقية المواضع تأتي عندهم بحسب التحديد التالي:

ضبيب: موضع ببلاد عبدالقيس.[1]

تبعد نحو ميل ونصف ميل في الشمال الشرقي من ضُبَيَّة.[2]

ضُبَيَّة: تبعد 12 ميلاً، نحو الشرق من جبل الأبتلة.[3]

البَتيل: (قرب) ثاج.[4]

الضُّبيب: ماء تابع لإمارة النعيرية.[5]

وهذا هو المناسب للطريق، على أقل تقدير، وإن لم يقصده الجاسر. ومن هنا، من (النعيرية) باتجاه (حفر الباطن) (فلج) تمرّ الظعائن الخارجة من الأحساء باتجاه الحيرة.[6]

---

(1) البكري، معجم ما استعجم، (ضبيب).
(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، ص418.
(3) المرجع نفسه.
(4) المرجع نفسه، ص200.
(5) العبيد، موسوعة المنطقة الشرقية، ج2، ص92.
(6) ياقوت، معجم البلدان، (صبيب).

يقول ابن بليهد:

«شَراف موضع في شرقي نجد، يعني بهذه الرجلة إحدى رجلتي وادي الرشا».[1]

وهذا غير صحيح، فما الجامع بين (شرقي نجد) و(وادي الرشا)، وقد جمع الشاعر بينهما بالفاء.

وجاء في ياقوت:

صُبَيب: بركة على يمين القاصد إلى مكة من واقصة، على ميلين من الجُوَيّ، وقد روي: صَبيب -بالفتح والكسر- في قول المثقب العبدي:

لمن ظعن ....

وفي شعر مضرس بن ربعي...(ضبيب) -بالضاد-...:

تَبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائن
إذا مِلن من قُفٍّ عَلون رمالا
عوائدَ يجعلن الصَّفاة وأهلَها
يميناً وأثمادَ الضُّبيب شمالا
ليُبْصِرن أجلاداً من الأرض بعدما
تَصَيّفن قُفّاً وارتَبَعْن سِهالا[2]

ثم إن الجاسر يحدد:

«منهل شراف لا يزال معروفًا، داخل الحدود العراقية، ويقع شمال واقصة، ومجاوراً لها، يمر به درب يدعى: درب الخايف، يأتي من الشُّبْرم... من

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص246.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (صبيب).

مناهل الحَجْرَة..».[1]

ويقول، وهو هنا متأثر برأي موزل:

«شراف: قريبة من صبيب. صبيب: منهل يدعى الآن: بئر صُمَيت، يقع جنوب اللّصَف بما يقارب 20كم، وشمال الحميمية بنحو ذلك... في الشمال الغربي من (واقصة)، على مسافة بعيدة، ويمرّ به طريق يمرّ بواقصة، ثم شَراف ويدعى: درب الخايف».[2]

ويأتي الجاسر ثانية، ليقول:

«فلج: يقع شرق تلك المواضع التي... منها شراف، وصبيباً والرِّجل، وبلاد البحرين كلها تقع جنوب فلج وشرقه، وتلك المواضع تقع شماله، ولهذا، فهي تقع غرب كاظمة، بعيدة عن بلاد البحرين».[3]

ثم يقول:

«المتقدمون... استثنوا فلجاً، ولم يلاحظوا أن فلجاً في كلامه، يقع شرق ما ذكر من مواقع، وأن بلاد البحرين كلها تقع شرق فلج».[4]

ويقول:

«الظعن... متجهات من الغرب نحو الشرق».[5]

والذي لا شك فيه أن موزل، والجاسر اعتمدا على التقارب الصوتي، فظنا أن (صميت) هو (ضبيب). وهكذا، وجّه الجاسر الرحلة والمواضع تلك التوجيهات.، حتى إنه ليقول:

---

(1) الجاسر، شمال المملكة، ج2، ص711. وانظر، ص774.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص ص773 – 774.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، ص723.

(4) الجاسر، شمال المملكة، ج2، ص774.

(5) المرجع نفسه، ص775.

«مفهوم قول المثقب أن الظعن التي وصفها سِرن من صبيب، فمررن على شَراف فذات رجل، ونكّبن الذرانح ذات اليمين، فهن متجهات من الغرب نحو الشرق».[1]

وكل ما قاله الجاسر، ورآه موزل، لا ينطبق على قول المثقب، وإنما ينطبق على قول مضرّس فقط.

حتى إن (ضبيب) في قول المثقّب، الذي انطلقت ظعائنه من شرق الأحساء تحديداً، باتجاه حفر الباطن نحو الكوفة، والتي لا تمرّ بحال من الأحوال بأية جهة من الكويت، لا يكون أبداً هو الموضع المعروف الآن:

الصبيب: آبار في الشمال الشرقي، تقع شمال الصَّبية... والصبية: أرض أثرية، وفيها بعض الأطلال المدفونة... تبعد الصبية مسافة 60 كم تقريباً عن العاصمة (الكويت).[2]

***

(1) المرجع نفسه، ص775.

(2) انظر، حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة (الكويت: وكالة المطبوعات، ط2، 1981) جـ2، ص862.

الخاتمة

يبدو أن الستار أُسدِل على مواضع تحمل موضوعات، فلقد انعقدت الآراء في الأدبيات القديمة، منذ تسجيلها الأول على أنَّ (عينين) بالبحرين، واختلط ذكر البحرين بهجر حتى برز إلى السطح ذكر (الجبيل) على أنها (عينين)، وانحَلَّ هذا الإشكال بالتركيز على واقع كلٍّ من (الجبيل) و(هجر) (الأحساء)، وإثبات عدم وجود علاقة بتسمية (الجبيل) بها. ولم تَعُدْ (سماهيج) مشكلة، على الرغم من ذهاب المرجعيات كلها إلى أنها تلك القرية في شمال المحرق، بالبحرين؛ لأن القاعدة التي بُنِيَ عليها كانت خاطئة منذ البدء، فالتمر لا يُجلَب بالإبل منها قطعاً، وإنما يُجلَب من الأحساء، فـ(سماهيج) في الأحساء. أما (المشقَّر)، فاختلط ذكره بغيره، حتى زُجَّت (عماية) في وسط نجد به، بل أصبح التاريخ جزءاً منه، أي: جعل وجود كندة فيه، نتيجة لعدم فهم قول امرئ القيس الذي جاء تمثيلاً، وليس تحقيقاً. وهكذا، فُهِم من ذكر (الشبعان) في قول عديّ بن زيد العبادي على أنه جبل (القارة)، وهو لا يعنيه أبداً. بل إن مسمّى الأحساء نفسها جاء من منابع مياه في الطرف الشرقي من (هجر)، فانسحب مؤخراً على (هجر) ذاتها، مثلما عُرِف تدريجيّاً (البحرين)، ذلك الإقليم المتسع (شرق الجزيرة العربية)، لـ(أوال)، وشملَ، من ثمّ، (سماهيج) (المحرق) بها.

وإذن، كان هذا العمل إعادة قراءة لما دار حول مواضع محدّدة جدّاً، في محافظة الأحساء، كان لابدّ من كشف حقيقتها، دون الاستمرار في تداولها على علاتها.

***

المصادر والمراجع

– آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (الرياض: مط الناشر العربي، 1419هـ/ 1999م).

– الآمدي، أبو القاسم، الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1381هـ/ 1961م).

– ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، 1380هـ/ 1965م).

– الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق:إبراهيم الأبياري (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1976م).

– الأسدي، بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الثقافة، ط2، 1392هـ/ 1973م).

– الإسكندري، نصر، كتاب الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: مركز الملك فيصل، ط1، 1425هـ/2004م).

– الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين (القاهرة: مط النموذجية، 1950م).

– الإيادي، أبو دؤاد، شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الشعر العربي، تأليف: غوستاف فون غرونباوم، ترجمة: إحسان عباس وآخرون (بيروت: مكتبة الحياة، 1959م).

– الإدريسي، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إدريس، أحسن التقاسيم.

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409هـ/ 1989م).

– الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون (القاهرة: دار المعارف، 1963م).

– ابن أحمر، عمرو الباهلي، شعر ابن أحمر، تحقيق: حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د– ت).

– الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق:عبدالستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1381هـ/ 1962م).

– البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد، حماسة البحتري، تحقيق: لويس شيخو (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1387هـ/ 1967م).

– ابـن بطوطـة، أبـو عبدالله، محمد بـن إبراهيـم اللواتي، رحلة ابـن بطوطة، تحقيق: كرم البسـاني (بيروت: دار بيروت، 1405هـ/ 1985م).

– البلادي عاتق، بن غيث، معجم معالم الحجاز (مكة المكرمة: دار مكة، 1398هـ).

– ابـن بليهـد، محمـد بن عبـدالله صحيـح الأخبار (القاهـرة: مط السـنة المحمديـة، ط2، 1392 هـ/ 1972م).

– البـــكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز، سمط اللآلئ، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مط لجنة التألي والترجمة والنشر، 1354هـ/ 1936م).

– معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ/ 1983م).

– البلاذري، أبا العباس، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت: دار النشر للملايين، 1377هـ/ 1957م).

– البوعينين، راشد سالم، الجبيل (الجبيل: مطابع الصناعات المساندة، ط1، 1994م).

– أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، شـرح ديوان أبي تمـــــام، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1972م).

– ابن ثابت، حسان، ديوان حسان، تحقيق: وليد عرفات (بيروت: دار صادر، 1974م).

– ابن ثور، حميد الهلالي، ديوان حميد بن ثور الـــهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مط دار الكتب، 1951م).

– الجاحـظ، أبـو عمرو، عثمان بن بحر، الحـــــــيوان، تحقيق: عبدالسـلام محمد هارون (القاهرة: مط مصطفى البابي الحلبي، 1363هـ/ 1942م).

– رسـائل الجاحـظ، تحقيـق: عبدالسـلام محمد هـارون (القاهرة: مـط الفنية الحديثـة، 1384هـ/ 1964م).

– العثمانية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1374هـ/ 1955م).

– الجاسر، خليد عينين، العرب، س17 (القعدة – الحجة، 1420هـ – سبتمبر – أكتوبر، 1982م).

– الجبوري، يحيى، قصائد جاهلية نادرة (بيروت: مط الرسالة، ط1، 1402هـ/ 1982م).

– جريـر، بـن عطيـة بـن الخطفى، ديـوان جريـر، تحقيق: نعمـان أمين طـه (القاهـرة: دار المعارف، 1977م).

– الجاسر، حمد، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1399هـ/ 1979م).

– ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، عالية نجد (القاهرة: مط نهضة مصر، 1398هـ/ 1978م).

- الحازمي، محمد بن موسى، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1415هـ).

- ابن حجر، امرؤ القيس الكندي، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، 1963م).

- ابن حكيم، الطرماح، ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الشروق العربي، ط2، 1414هـ/ 1994م).

- الحميري، يزيد بن مفرغ، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مط الرسالة، ط2، 1402هـ/ 1982م).

- الخالديان، أبو بكر، محمد، وأبو عثمان، سعيد، الأشباه والنظائر، تحقيق: السيد محمد يوسف (القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م).

- ابن خرداذبه، أبو القاسم، عبيدالله بن عبدالله، المسالك والممالك، تحقيق م- مج- ج- دي جوجه (بريل: مطبعة بريل، 1889م).

- أبو الخير، محمود بن عبدالله، (شعر حروب الردة بين التاريخ والفن)، الدارة، س15، ع2 (المحرم- ربيع الأول، 1410هـ/ أغسطس- أكتوبر، 1989م).

- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة (بغداد: مكتبة المثنى، د- ت).

- الذبياني، الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، 1968م).

- ابن الدمينة،عبدالله، ديوان ابن الدمينة، تحقيق: أحمد راتب النفاخ (القاهرة: مط المدني، 1379هـ).

- الراعي، النميري، شعر الراعي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: مط المجمع العلمي العراقي، 1400هـ/1980م).

- ابن ربيعة، لبيد العامري، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مط الحكومة، 1962م).

- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ط1، 1402هـ/ 1982م).

- الزبيدي، محمد مرتضى تاج العروس (القاهرة: مط الخيرية، ط1، 1306هـ).

- ابن زهير، كعب، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية، 1369هـ/1950م).

- الزوزني، أبو عبيدالله، الحسين بن أحمد، شرح القصائد السبع (بيروت: دار الجيل، د- ت).

- أبو سعيد، الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مط المدني، 1384هـ/ 1965م).

- السعيدان، حمد محمد، الموسوعة الكويتية المختصرة (الكويت: وكالة المطبوعات، ط2،1981).

- ابن سلام، محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، 1952م).

- شباط، عبدالله بن أحمد، صفحات من تاريخ الأحساء (الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1409هـ/ 1989م).

- الضامن، حاتم صالح، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/ 1987م).

- ابن الطفيل، عامر الغنوي، ديوان عامر بن الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد (بيروت: دار الكتب الجديدة، ط1، 1968م).

- الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: دار الأصالة، ط1، 1413هـ/ 1993م)

- العاني، عبدالرحمن بن عبدالكريم، البحرين في صدر الإسلام (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، 1421هـ/ 2000م).

- العبادي، عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد (بغداد: دار الجمهورية، 1965م).

- العبودي، محمد بن ناصر، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ).

- العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط1، 1413هـ/ 1993م).

- العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار صادر، د – ت).

- العقيلي، محمد بن أحمد، مقاطعة جازان الرياض: دار اليمامة، 1389هـ/ 1969م).

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1968م).

- العماري، فضل بن عمار، مجلة الواحة، ع62، س17 (صيف 2011م).

- الفحل، علقمة بن عبدة التميمي، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب (حلب: مط الأصيل، 1969م).

- الفرزدق، همام بن غالب، ديوان الفرزدق، تحقيق: إسماعيل الصاوي (القاهرة: مط الصاوي، ط1، 1354هـ/ 1936م).

- القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957م).

- كثيّر عزة، ديوان كثيّر عزة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، 1391هـ/ 1971م).

- الكلاعي، أبو الربيع، سليمان بن موسى، تاريخ الردة، اقتبس من الاكتفاء، خورشيد أحمد فاروق (دهلي: مؤسسة فيكاس الخاصة، 1980م).

- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مط عيسى البابي الحلبي، د- ت).

- المخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: يحيى الجبوري (النجف: مط النعمان، 1392هـ/1972م).

- المرزباني، أبو عبدالله، محمد بن عمران، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي (بغداد: مط دار الرسالة للطباعة، 1396هـ/1976م).

- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف (ليدن: مط بريل، 1893م).

- المعري، أبو العلاء، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دار المعارف، 1975م).

- ابن المقرب، علي العيوني، ديوان ابن مقرب، تحقيق: عبدالخالق عبدالجليل الجنبي وآخرون (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2003م).

- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر العيبي (أبو ظبي: دار السويدي للنشر، ط1، 2003م).

- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د - ت).

- ابن منبه، وهب، ضمن كتاب، وهب بن منبه، التيجان (الهند- حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1347هـ).

- ابن ميادة، الرمّاح بن أبرد المرّي، شعر ابن ميّادة، تحقيق: حنا جميل حداد (دمشق: مط مجمع اللغة العربية، 1402هـ/ 1982م.

– النبهاني، محمد بن أحمد بن خليفة، التحفة النبهانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 004م).

– النجم، عبدالرحمن عبدالكريم، البحرين في صدر الإسلام (بغداد: مط الجمهورية، 1973م).

– أبو نواس، الحسن بن الحكم، ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987م).

– الهجري، أبو علي، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: شركة العبيكان، ط1، 1413هـ/ 1992م).

– الهمداني، أبو محمد، الحسن بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة، 1394هـ/ 1974م).

– الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب الردة، تحق: يحيى الجبوري (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ/ 1990م).

– وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي (القاهرة: مط الاستقامة، 1366هـ/ 1947م).

– ياقوت، شهاب الدين، أبو عبدالله، بن عبدالله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1399هـ/1979م).

- Spencer, Trimingham, Christianty Among the Arabs, (MASHMAHIG) in Pre- Islamic Times (London: William Clows & Sons Ltd., 1979).



يتوجّه هذا الكتاب إلى كثير من المعطيات الجغرافية القديمة والحديثة في الأحساء التي تشكِّل الجزء الأكبر من منطقة البحرين القديمة، وتضمّ (أوال) و(البحرين الحديثة). وكانت (هجر) عاصمتها، وما عدا البحرين الحديثة فهي الآن جزء من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

يعيد هذا الكتاب ترتيب المسائل فيما كان شائعاً بين الدارسين للمنطقة ويصحح بعض الأخطاء ليظهر الحقيقة على غير ما كانت تبدو.


9 771319 025251